
كريم الصياد
آلهة الغسق
Dämmerungsgötter
Karim Elsaiad
Dichtung
شعر

آلهةُ الغَسَق



آلهة الغسق

شعر كريم الصياد

غلاف:

الطبعة الأولى : شرقيات، 2015



5 ش محمد صدقي، هدى شعراوي.
الرقم البريدي 11111
باب اللوق، القاهرة، ت: 23902913
Sharqiyat2010@yahoo.com

الصياد، كريم
آلهة الغسق : شعر / كريم الصياد – ط 1. – القاهرة: دار شرقيات ؛ 2015.
72 ص ؛ 20x12 سم.

رقم الإيداع 11788 /2014 تدمك ISBN 978-977-283-918-1

شعر – العنوان ديوى 813

آلهةُ الغَسَق

شعر

كريم الصياد

دار شرقيات

Dämmerungsgötter

Dichtung

Karim Elsaiad

إهداء

إلى أبي الوحيد

فهرس

هذا العمل في الأصل الجزء الثاني من المتتالية الشعرية، التي يُفترَض أن تصدر تباعًا تحت عنوان: "**إصدارات حديثة**"، وتتكون من الأجزاء التالية:

1. منهج تربوي مقترَح لفاوِسْت-صدر بالقاهرة 2009.
2. آلهةُ الغسَق – صدر بالقاهرة 2015.
3. الأغشية (تحت الطبع).
4. ذاتُ الشتاء (قيد الكتابة).
5. الأفئدة

*كُتبت أغلب قصائد هذا العمل في الفترة من مايو 2014 إلى مارس 2015، بين مصر وألمانيا والدانمارك.

إله الغسق
(تقديم)

ما دمتُ لستُ إلهًا، ولا أستطيع أن أخلُق، ربما أستطيع أن أكون عالِمِ تشريح بدلاً من عالم كلام، وأن يحل التشريح محل اللاهوت، وأن يكون حلم الإنسان أن يشرّح الإنسان بدلاً من أن يقتل الله. وما زالت فكرة الأطلس التشريحي الذي سأُخرجه في القيامة بدلاً من كتاب أعمالي تراودني. وما زالت بِنيتي أخطر من ذاكرتي. وما زلتُ أعتبر العمارة أكثر حضورًا وحضارة من الموسيقى.

وما أملكه أخلعه كالضرس وكالجِلد، وما انتشب في رأسي ضرسًا أو تطفل على لحمي جِلدًا أدماني، ثم حبس دمائي، ثم ربَّى في دمي قناديل الحلم، وفي لحمي كائنَ القشعريرة.

هذا الكائن الذي سيتحرر يومَ أبصر نجم الجحيم يشرق من الغرب، فيكون انتصاري الصغير لو ما اندحرتُ في يومٍ تذوب فيه ثلوج السراب، ثم تسيل فيضاناتٍ في العيون، حتى تمتلئ، وتسقط ثمارًا ناضجة. سيكون انتصاري على المحاجر الفارغة أني أحسست بتلك الرهبة التي أنتظرها، والتي أكتب هنا

وهناك عدّاداتٍ تنازلية، تجفف الوقت الباقي حولها،
ولا أفعل شيئًا آخَر.
أنا لا أكتب عن شيءٍ، أنا أكتب الشيءَ.
وهذا لأنني لست إلهًا، ولا أستطيع أن أخلق.

#

أحد الآلهة المنسية-الملعونة-المنفية في الأرض، التي سيجد البشر آثارها حين تصل الحفائر إلى طباقٍ أعمق.

القاهرة
أغسطس 2010 (ليل)

I
المكان

في الثامنة صباحًا استيقظتُ
ونفّذت قرارًا مؤجلاً منذ أسابيع:
لملمتُ المكانَ،
وجعلته كرةً،
ووضعته في المغسلة،
وحسبت أن كمية كافية من المسحوق..
كفيلة بأن تزيل عنه بقع الأشياء.
وبعد ساعتين أخرجته، ناصعًا،
عطرًا،
ونشرته في الشرفة أسفل الشمس.
وعلى مكتبي جلست ألعب لعبة (الحضارة)،
وأطبق نظرية (الحرب بالوكالة).
ولا أدري كم طفقت من الساعات،
أو من جرعات السعوط.
والمكان لم يزل رطبًا.
ثم أفقت على الحقيقة:
لو أنك غسلت المكان جيدًا..
فكيف تنتظر أن يجف،
وقد صار بلا زمان؟!

* * *

في الشرفة كانت الشمس لم تزل في موضعها.
والغيوم التي تتحرك عليها..
لم تعد تدور.

هل كانت آخر ساعتين في عمري ساعتا غسيل و(حضارة)؟
وضعت يدي على المكان، فكان لم يزل رطبًا.
فكيف أنام لو أردت النوم؟
لقد أضاع الزمانَ حرصي على البياض.
فهل يعود الزمان إلى المطر؟
أم أنه ضاع إلى الأبد؟
وكيف أتحرك؟
كيف تكون لي سرعة أو عجلة؟
كيف أفرق بين الذكريات وخطط المستقبل؟

* * *

خرجت إلى بيت جارتي، فوجدته أطلالاً.
أطلالاً تسبق وجوده، أو تليه..
نظرت حولي، فلم أجد إلا أطلالاً.
وفي السماء كان عمود من دخان.
لقد انسحب الزمان، وعادت أيام الحرب.
وبشكل ما سيعود المكان كله إلى زمن أسحق فأسحق.
يجب أن نجد وسيلة لضخّ الزمن.

* * *

الشاي في الكوب ينفصل إلى مسحوق وماء.
والزجاج يتحول إلى حفنة رمال.
القصائد أوراق بيضاء.

ذاكرة الحاسب المحمول تفرغ.
قبور ذاكرتي تعود أرضًا بكرًا لم يطأها الموت.
أحاول الاتصال بأحد،
فلا أعرفه،
وتختفي الشبكات.
وأدرك في رعب أنني لن أعود إلى موطني في عالم يتلاشى زمنه.
لقد حاصرني المكان.
كل خطوة ستحط على قشرة سابحة.
كل شيء سيستحيل إلى شيء أقدم.
فتحت دفترًا فارغًا وكتبت عنوانًا:
(الفَقْدُ العكسيُّ في الماضي)،
ثم لم أجد ما أكتبه.

* * *

بعد وقت ما،
ربما ما يكفي لقراءة مائة صفحة،
فتحت بابي،
فوجدت العالم قد رحل.
رحل ولم يترك أثرًا..
على صحراءِ ثلجية في عصر جليدي ما.
كانت الشمس نِبتونية،
بعيدة كأنها من مجرة أخرى،
وباردة وبيضاء،

كمصباح نيون موفِّر.
رأيت الظلامَ فتسلل إلى صدري.
وخطر لي أنني ربما قد نسيت دواء الاكتئاب اليوم.
(هذه خواطر غريبة عند نهاية العالم)!
وحين تراجعت لم أجد بابًا.
كنت وحدي في المكان.

* * *

حين اقتربت الشمس أدركت أنها النهاية.
لقد نفد الزمان تقريبًا من الكون،
وعاد الكون إلى الانفجار الأعظم.
ستعود كل الشظايا إلى كل القنابل،
وكل الأضواء إلى كل النيران.
سأعود أنا إلى المصدر الأول الرهيب.

* * *

سيصير المكان أسود تمامًا بعد لحظات.
هذه من نتائج عمليات التنظيف الفاشلة.

Köln 13.2.2015

II
الزمان

أخطو فتخطو الأرض على قدميّ. أسوخ فيها فتسوخ فيّ. أتشبث بالحيطان فتمسك بكفّيّ، ثم تعبرها كَفّاي إلى كفين ككفَّيّ. أنظر إلى السقف فأرى وجهي ينظر إليّ. وحولي أَنعكسُ في كل اتجاه، وكل انعكاسٍ ينعكس عليّ. لا أتناهي على كل المحاوِر. وبين كل لا نهايتين انعكاس. ومن كل لا نهايتين تتفرع لا نهاية في بُعد ثالث، ثم يمر الزمن، فتتفرع اللا نهايات دون نهاية، وتتسع نقطة بلا أبعاد.
أصير فَحَسْب.

بين كل انعكاسين لا توجد مسافة، وبين كل اثنين لا يتفرّغُ شيء.

أندمج في ثلاثيات على مسافات غير متساوية. وتظهر تآلفات ثلاثية. لا أسمعها ولا أرها، لكنْ أجدها. وتتشكل أبعادٌ جديدة: فمن كل تآلف تخرج صيرورات تتحرك، ترتفع أو تنخفض، تتزاحم أو تتخلخل، ثم اندمجت الصيرورات في صيرورة كبرى ذات تتابع منتظم. تتحرك المتتابعة في خطوط ممتدة، وتنحني أحيانًا لتصنع حلزونات متصلة بسيطة. تصل إلى ذروة، ثم تبدأ انحلالها. تخرج من المتتابعة الصيرورات الأولى، تتفكك، ثم تقطعها التآلفات في صرامة. إنها مَطارِقُ هاويةٌ. ولكن الصيرورات تكمل حركتها، فتنفجر في ثبات صورة المتتابعة كالظهور، ويصمت الوجود.

تتعدد الحركات، وينشأ إيقاع آخَر مع الأول. ويسير تتابع جديد. تتداخل الإيقاعات والتتابعات. أُدرِكُ النظامَ. ومن خَلَل التحولات أجد إيقاعًا جنائزيًا يكسوه تتابع عظيم. أسير في مارْش بطيء متزن. حُزني كُلٌّ. أَمَلِي أَلَمٌ.

الصمت واحد.

ينفجر إيقاعٌ عارٍ. يُعمي عيني بلا ضوء. ويقطع الصمتَ ويتركه ينزف صدًى، ثم يرقص الإيقاع فجأة في حماسة كاندفاعة فيلق. وينبني تتابع سريع كالشموس، تنضم له صوري كلها بالتدريج، صور صارخة، متجهّمة، وغاضبة، ألف ملمح يتبدل كل ثانية. كلها ترقص وكلها تُحارِب. تعلو كثيرًا وتهوي موجةً إلى قاع، ثم تعلو، وتتابع الموجات، حتى تندمج الموجات، ويصير سطحٌ. فتطفو صوري كانعكاسات وتبتسم.

ومن السطح يتبخر تتالٍ بطيء غنائي. تردده قليل، وموجاته طويلة. لا أعود أبصر صورًا، وأرى ألفا على جاما. ويقطع الغناءَ نداء. أنتبه له. تتحرك صوري إليه. يقودها. ويخفُتُ.
أتوقفُ.
أبدأ الغناء. هل أبدأ وحدي أم تبدأ صورة لي وحدها؟ أفقد المركزَ. نبدأ بالغناء في أصوات قليلة، ثم تتبعنا أصوات أخرى، فأكثر. نسائية، طفولية، رجولية، جبلية، رعدية، بَحَرية، كهربية، حُمَمِيّة، كلنا نَتَكَوْرَلُ في سعادة. نقفز فرحين في رقصاتٍ دقيقة. ونتبادل الأحضان.
ثم تهبط قدماي على الأرض.

* * *

انفجرت كرتا صمت هائل في أذنيّ.
وعدت أرى الحيطان والسقف.
مددت يدي إلى الحائط، فلم تمتد منه كَفٌّ.

ضربتُ الأرض بقدمي، فآلمَتْني.
مذهولٌ أبحث عن عكسي.
أنا فجأة صامت.
فاقِد..
ومفقود.!
#

Köln 21.2.2015

III

مَغـارِب

انتظار الآكلين

ها أنا متروكٌ على مقعد في الكافيتريا،
لا تتحرك إرادتي،
بينما تتلوّى في الأفق أمعاء الآكلين.

* * *

ما الذي قضمني،
ولم يبقِ غير ذراع وساق ونصف وجه؟
لماذا لم يحملني أحدهم على الظهر،
وتركني حتى أكلوني؟
عرف بطل (أندرسن) الظل في أفريقيا،
وأنا ضاع ظلي في أوروبا،
وتلاشت معرفتي، وصَداقاتي..
في الضوء الناصع.

* * *

أشهق أدخنة الشيشة..
بملء الهاء.
يهرب الدخان الأبيض في تجاويف رئتي.
يصّاعد في شقوق جمجمتي.
يمتص منه دمي ومخي ذكرى صديق المقهى،
وصديق النجوم،
وصديق الزمن الصدئ.
لكن الدخان يرحل كما جاء،
كما جاء الصديق ورحل،
وينتشر العنكبوت.

* * *

هذه الوحدة التي لم يصحبني ظلي إليها..
كانت أقسى مما قضمني في همجية..
مِن الوَحْش،
والصقيع،
والاكتئاب،
وكراهة الذات.

* * *

ما رأَى الإنسانُ بعدَ الضوءِ؟
ما أراده بالمعرفة؟
ما عرفه بالخلود؟
ما أصابه في نوبة غضب وحمق؟
ما أشعله بعود كبريت في عبث الأطفال؟
ما هذا إلا أسطورته الفردية،
إلا عَصَبُه المتألِّم المنتشب كمحورٍ..
في كرة الجحيم المتجمدة.

* * *

هذا الوعد بلقاء الحبيبة الساخنة..
كالفطيرة الطازجة الخارجة توًا من المخبَزِ،
ولقاءِ الأصدقاء المصقولين والصدئين..
كالتماثيل القديمة..
في ميادين الذات،
وحيث تدور من حولهم مياه الروح،
هذا الوعد الذي لا يتحقق،
هو وعدٌ أبديٌّ..
لتسكين ألَمٍ..
متجددٍ.. كالشمس!

* * *

تأكلني الحَماماتُ البرّيّات.
تأكلني العيون الباردة.
تأكلني ذكرياتي التي أنساها،
والتي تترك فضاءات الضروس بعد وقوعها.
تأكلني الأمطار على محطات القطار والباص.
تأكلني الأرض التي أدور عليها عشرات المرات في الليلة.
تأكلني أفكاري كأسماك جائعة.
تأكلني السماءُ سماءً سماءً.
تأكلني المصابيح الشريرة..
النابتة أنيابًا في لثة الليل.
وأنا تتقطع شهيتي للأكل،
يومًا بعد يوم.
فاذكريني حبيبتي.
اذكري أنني أنا،
لو عدت إليكِ ذات يوم..
كَسْراتِ بسكويتٍ..
ملمومة في ورقٍ لامعٍ مُمَزّق.
اجمعيني براحتيك الدقيقتين،
وحافظي على فُتاتي،
ولا تقولي: لا.. هذا ليس حبيبي!
فأنا فعلاً كل ما بقي منّي،
أنا فعلاً كل ما تم إنقاذه.
أنا أيضًا قابلتك وأنتِ شمعة سائلة،

فغرستك في كوب صغير،
وحافظت عليكِ،
ولم أقل أنكِ لستِ امرأة.
أنا أيضًا رجل،
لكنّي مأكول.
كل ما هنالك أني مأكول!

* * *

Köln 2.7.2014

اللوجوس
λόγος

لقد حدثَ لي (شيءٌ دون عالَمٍ)،
صدمني في ركبتي،
وحين نظرت لم أجدْه.
كيف تجد (شيئًا دون عالَم)؟
وكيف تمسك بمعكوس اللا شيء؟!

* * *

كانت حبيبتي تمشط شعرها في المرآة،
وتبتسم لي.
وكنت أراها،
وهي تنظر معكوس نفسها.
أطرق لها على الطرف الآخَر،
وهي تمشط شعرها،
وتبتسم.. لي!

* * *

تورّمت ركبتي،

وصرتُ أعرُجُ كالملائكة.
كان الألم وجبة لا أستطيع إنهاءها وحيدًا.
وكنت أسأل في خوف:
"هل سأكفّ عن الحركة دون أَحَد؟"
ثم بدأتْ تحدُث لي ثعابينُ كثيرةٌ من الألم.
لقد بدأت أرى الألم.
ويمكنني أن ألمسه، كسلك عارٍ.
كان يلتف في جسمي كالكابل الغليظ.
وصرت أرى الوحدة،
وهي جالسة في الركن، بيضاء، ونحيفة.
وأصبحت أرى الخلود،
أخضرَ، ويتدلى من السقف كالثريا المعتمة.
كل المعاني صار لها ظل.
صارت تتحرك وتقف.
وأصدمها بقدمي دون قصد.
وفي كل ليلة أجد في صالة بيتي معنًى جديدًا.
وحين بدأتْ تتسلل إلى حجرة نومي تضايقتُ،
وحملتُ الخوف والرغبة والحب والشك،
والصرَع والشر والفزع،
في حرص، كإصص النباتات،
ورصصتها في حديقتي.
خفتُ من صاحبة البيت،
التي ستسألني–أكيد–عن ضيوفي،
الذين صاروا زملاء سكن دائمين.

ماذا أقول؟
وكيف أذهب إلى السجل المدني في المدينة،
وأسجل:
أن الحزن يسكن معي،
وأن الشقة تتسع لكلينا؟

* * *

حين التقيتُ حبيبتي لم ترني.
فهمتني، أحسّتني، ربما استنشقتْني،
لكننا لم نستطع أن نتحاضن أو نتبادل القبلات.
لقد صرتُ خِلالاً تمامًا!
كانت تقف،
تنظر إلى اللا شيء،
وتقبّل الهواء،
وحيدةً،
ومعكوسةً!

* * *

ثم إنني تلاشى ظلي،
ثم إنّ الأشياء بهتت،
وإنّ المسافة انقطعَتْ،
وإنّ الزمن تباطأ، وتوقف،

ثم جلستُ مع المعاني،
نتسامر وندخّن،
ونتحاور في (الأدلة المعنوية على وجود المادة)،
وفي الأيام التالية..
جاءت صاحبة البيت بساكن،
بعد أن اختفى الساكن القديم.

* * *

كنت أذكر حبيبتي،
التي صارت يدها الرقيقة..
تخترق صدري بلا ألم،
لكنني لم أستطع أن أبصر الذكرى.
وكان اليأس يواسيني
يجلس معي، بهيكله العظمي العريض،
ويقول:
"أنت أيضًا أكثر من مجرَّد.."
"وتآكُلُ ظلِّكَ لا يعني أنك مجرَّد.."
"عندك -مثلاً- الله.."
لكن ذكرى حبيبتي كانت كالشيء الضائع،
كالذي يتلاشى،
كالذي يرحل،
كالذي يذوب،
كما يبهت،

كما ينفد،
كما يتبخر.
فكنت أتنهد في الحنين،
وكان الحنين يتنهد في اليأس،
وكان اليأس يصمت.

* * *

معكِ الحق يا حبيبتي:
أنا لم أعد إنسانًا،
أنا الآن كلمة.
وحين طرق الله بابي،
بعد أن صرتُ أخيرًا أراه،
قلت للمعاني أن تخبره أنني غير موجود.
إن الله يعرف أني موجود،
لكنكِ الآن يجب أن تثبتي وجودي.
لا يمكنكِ أن تحبي (رجلاً بلا عالَمٍ).
أنت تعرفين أنكِ،
–فقط–
يمكنكِ أن تنطقيه ككلمة.
#

Köln 6.7.2014

رجُل العائلة

أقتل الفحمة الحية بمصيري الرخو في قاع فنجاني، وأكفّنها بمنديلي، كيلا يدل عليها جيراني الدخانُ. أجلس متوسدًا ظهرَ المدفأة المعدني، متذكرًا ظهر أبي المسرطَن، وظهرَ أمي المكسور.

أتمنى لأبي ظهرًا دافئًا، ولأمي ظهرًا رخوًا المجازُ فيه انكسار.

أنا أقتل الفحم من أجلكم. أقتل كل الفحم بعد أن يضاجع أوراق التبغ السوداء، بعد أن يحرق في الفضاء الواغر موسيقى الستينات بتآلفاتها المتناقصة، ويبعث في الهواء بأطفال الدخان ذوي المواهب الموتسارتية، الذين يؤلفون سريعًا، ويموتون موتًا مشبوهًا غير سالم من كل روح. أنا أقتل فحماتي من أجلكم. أعطِي كل ظلالي التي تتلو قرآن الفجر وأنا غافٍ، أعطي كل مُسْتَطاعاتي قبل الموت، وآخذ فقط لحظةً مع أخوَيَّ. لا يجتمعان إلا حُلمًا. من أنا كي أراهما؟ لم أبلغ بعدُ العديمَ، ولم أصبح منه. لم أصر وحشًا يقتات على غضروف المفاصل، ولم أعرج منه. لم أكن، ولم أنهض من الكون. أنا رجل العائلة، الذي ذهب إلى أبعد الأرض، والذي عبد الآلهة الأحدثَ في العالَم، والذي أطلق الرصاصَ فأردى رقصات البوليرو والبولونيز قتلى من الطلقة الأولى، الذي ظهر وعاصر وسافر وعاد وتقيأ وغادر، الذي خاض حتى المرافق وحتى الكعوب في البيتهوفن الرمادي المزرقّ، والذي أرسل

معطفَه طردًا إلى مجهولٍ في صحراء البرامْز، الذي لبس شعرًا مستعارًا في الكرنفالات الكولونية، والذي ظن فتيات الليل نقوشًا بارزة على الجدران، الذي ظل وحيدًا حتى تعددَ كل شيء، الذي قرأ عهود (إنيو مورِّيكوني) و(نينو روتا) و(مايكل جياكّينو) بلغاتها الأصلية، الذي بعث هيدجر ذاته ببلازما عنكبوت مقتول، الذي لعق ثلج برلين، وشرب ماء الراين، الذي بكى حتى أودعوه القبرَ، والذي مات حتى أخرجوا القبرَ خديجًا من بطنه. أنا الذي لا موت لي أو موسيقى. أنا الذي خنتُ وكذبت وتاجرت بالكلمات وعصيت الآلهة، وأصبتهم في عظامهم بالأورام الخاوية. أنا الذي شخّصت سرطانَ اللا شيء في الكائنات، وفتَحتُ العدمَ، وحرّرتُ الأمم. أنا الذي بذلت سائلي الشوكي من أجلكم، فساح على الأرض أعزَّ من الدم –وأعزّ من الدم لم يوحَ إلى أحدٍ مِن قبلُ– فأهدره الجفافُ والتشقيق، وتناهت عائلتي إلى أصفارها. كل شيء شائبُ الرَّمادِ. الموت رائج في جِلدي، والسرطان ميراث العائلة.

.

هل أنت فعلاً أبي؟

أم أنت صورة خلوية من ذاكرتي؟

هل أنت ذلك غائر العينين، مصفرّ الوجه، ضامر الأطراف؟

في عينيك العذاب في البقاء، والخوف من الفناء.

لستَ إله الحرب الذي حكمتْ عليه الآلهة بالنفي في الأرض.

لستَ الخرافة التي حاربتها في حياتي.

لستَ الذي أحببتُ عليه الموسيقى، وأودعني الذكورة قسرًا.

لستَ الذي كنت أقرأ القرآنَ خوفًا منه أن يأتي،

لا خوفًا من الله.

كيف أواجه العالَم بلا خوف؟
كيف أرغب في شيء بلا خوف؟
.
ظلالي ومُسْتَطاعاتي وقَتْلِي،
وقَتْلِي،
من أجل زمنٍ صغير،
يمر على ثلاثة الإخوة،
الذين فصمهم العقلُ والجنونُ،
الحلُّ والترحالُ.
زمنٌ صغيرٌ يكفي.
#

Köln 9.1.2015

الوقت خَمرةُ الرِّمال

أستحلبُ في فمي جمرةَ التبغ، والوقت صار مُبْعَدًا. الوَحدة ولايةٌ، والسماء لا تطلع عليها كلها في اليوم الواحد. الزمان فيها مزدوَج، والإيقاع الوحيد مهترئ. مالت بصدري النخلات، وظلالهن تطرح الليالي. خطوتي نجمٌ في مُدْلَهَمِّ العوالم، كلما خطوتُ صعق البرق وجوهًا أسفلي بلا أعين. الليل يخترم الجباهَ، والمَدى شفراتٌ. حتّامَ يَفهم الناسُ، والأرجل مسافات منقطعة، والدماء بساط؟ ليس قبل التمنّي سوى ذكرَى، وليس بعد الشهوة سوى هوّة الخيال. تتصافع بصدري مصاريع الضلوع، والحزن مقلوبُ الرغبات.

.

سافرتُ، لم أحمل سوى معطفٍ لا يقي،

وأعمالِ قاصٍّ،

اغتالتْه الأرضُ،

فسافرتْ صفحاتُه بين القارات.

قارة تبدأ، وقارة تنتهي،

والوحدةُ القارةُ الطافيةُ.

كلما عبرتُ قارةً، نزلتُ عليها.

جواز سفري راحةٌ خِلْوَةٌ،

وتذكرتي لا يحجزها سواي.

والوقتُ في زجاجةٍ دفينُ الرِّمال.

تتضاجع في عروقي أسبابُ الموتِ،

والعالَمَ.. أعراضُ الرحيل.

.

الصَّديقةُ قد رجتْني البقاءَ،

وإطفاء تبغي،

وخيّرتْني بين شفتيها،

وطعمِ الخشب العتيق في مصباح الويسكي،

فاخترتُ على رحيقها عصارةَ الأرض.

أنا أوّل عدميٍّ شديدٌ على اللذاتِ،

رحيمٌ على الرَّهْبات.

أنا أرحم من كتب إنجيلاً،

وأقسَى من انصلب في لا مبالاةٍ بيقظة الجسد.

مثلُ هذا لا يبقى ولا يذهب.

مثل هذا لا يعود.

مثل هذا لا يقبّل شفتيك مرةً أخرى في الظلام المقطوع.

مثلُ هذا يتّحدُ بالأرض.

.

ها أنا..

أتكلم بالفم المحترق،

والوقتُ..

خَمرةُ الرِّمال.

#

Köln 20.1.2015

مَشاهدُ الغروب في آزْجارْد

في ذلك العالَم المتهدّم..
تنشأ الجبال من السموات كالسحاب،
وتهوي ثلاث أو أربع مرات في اليوم،
وتشرق الشمس كفلاشات القنابل الذرية،
وتغرب بدويّ يتباعد حتى يذوب في السماء،
بينما تتحرك على الأرض مسوخ،
تتزاوج وتنجب،
تتصارع على وسائل المواصلات،
تنتظر الموت،
تتحرش بالمؤنَّث،
وحين تتمرد أحيانًا..
تأتي بالعشرات شرطة الفالْكيري،
وتقبض الأرواح.
يقال أن عالَمنا قد ثار في الماضي السحيق،
وصارع الآلهة في عالم آخَر،
وأن زعيمنا قَتل أحدَهم،
وأنه يعذَّب الآن في معتقل:
حول جسده العملاق سلسلة من معدن لم يسبكه إنسان،
عرضها عرض السماء،
وحول جسمه أقفالٌ لم تُصنَع لها مفاتِحُ،

وفوق رأسه حيةٌ خالدةٌ،
تنزف سمها على جلده، فيرتجف، ونحس ارتجافاته زلازلَ كل بضعة شهور،
حين تسري في الأرض.
ولهذا لعنت الآلهة عالمنا إلى الأبد،
ولعننا العملاقُ؛ لأننا لم نحرك قضيته في العوالم،
وحاولنا نسيان الماضي.
هذه الحياة الشاقة المؤبَّدة..
لم نعد نحتملها أو نتمرد عليها،
وصار الصمت أيديولوجيا وحيدة!

* * *

منذ سنوات فقد نصفي الأيسر الكثير من أعصاب الحسّ،
ولهذا أتلقى فقط نصف العالَم،
وأشرد بحثًا عن النصف الآخَر.
وفي جلساتي الوحيدة على مقهى هذا العالَم المتساقِط،
–حين تمسك أحيانًا يسراي بكوب الشاي الملتهب بقبضة كاملة–
أنظر في السماء أرضًا بعيدة،
يقال أنها هي التي ترسل الفالكيرات،
وأحلم عليها بغروب دخاني أسود،
يخنقها، أو يحجبنا عنها،
ويرفع عنا العذاب.
* * *

آزجارد أرض الجبارين وملائكة الموت.
آزجارد مهد آلهة الدمار.
آزجارد التي لا تغرب عنها شمس، ولا تنقطع عنها صلوات.
آزجارد مطلع الوحي الذي يهبط إلينا في قنواتها الفضائية،
ويقسمنا إلى: خونة، وعملاء محتمَلين.
آزجارد أرض الآلهة التي اعتقلت العماليق؛
لأنهم نافسوها على الحكم،
ولأنهم لم يكونوا آلهة،
ولأنهم بشروا بأفولهم من قريب.
آزجارد أرضٌ وسماء.
ونحن المعلَّقون بين ما يجلدنا من سماء،
وما يلفظنا من أرض.
ليس لنا إلا أن ننتظر حضورًا بلا أحد،
في مكان بلا زمان.

* * *

سقطتْ شمسٌ، وبقي مكانها نجم أسود يسكب الليلَ قطراتِ حِبرٍ. ونبتت من مَسقَطها نجوم أرضية كعيش الغربان العملاقة. كان الدوي يصل أرضنا. وتحدث الفلكيون عن نجمٍ وَقعَ. سقط الآلهة من العروش، وهوت أبراجهم. ظلت الفالكيرات يدرن في السموات بلا أوامر، وانطفأت شاشات الوحي.

انفجرت شمسٌ، فتشظّت منها الكواكب، وانهمرت كطلقات المجانِقِ المشتعلة على الأرض العليا. امتلأت السماء بالمشاعل، وصار نصف نهار ملتهب. كانت ظلال الآلهة عديدة وترتجف، وهم يسحبون سيوفهم، ليعلنوا الحرب على لا شيء.

تحجّرتْ شمسٌ، فتشققتْ، وسمع الآلهة انشقاقها رعدًا، وانقطع الشعاع، وصارت كوكبًا باردًا. تسرب الثلج إلى أرض الآلهة، وماتت النار.

تفحّمت شمسٌ، فاسودّ الأفق، وهطل على الأرض دخان ثقيل. ساد ليلٌ ذو جسد. واختنق أطفال الآلهة، ووضعت كل إلهةٍ حملَها، وسعل الجميع، وأدمعت عيونهم. وغربت آخر شموس اليوم الذي بكت فيه الآلهة.

رفيقة الثورة القديمة حاججتني:
هذه ليست ثورة،
هذا ليس سلاحًا،
هذا تطهيرٌ لاهوتي!

* * *

خلت السماء من الفالكيرات.
حمل كل من قدر سلاحًا.
حصن الناس البيوت.
صمتت المعابد، وماتت الصلوات،
ثم بدأ زلزالٌ وعاصِفٌ.

* * *

كان جسد العملاق يَصِرّ بعد قرون التصفيد،
والسلاسل تنهار.
كان يفرد قامته،
ويستعد لإعلان الحرب على السماء.
وكنتُ أنا على خشب المقعد جِلْدةً مُقْشَعِرّةً،
من جنون الانتصار،
ورهبة نهاية الزمن.
#

Köln 9.2.2015

IV

مُسَفارَاتٌ

أشلاءُ وعيٍ.. لا تجد أنصافها

كل انفجارٍ، كل جسد يتفسّخ، كل أوراق الشجر الساقطة، كل قطرات تشعّ من اصطدام قطرة أمّ بسطحٍ، كل الموجات التي تتباعد عن المركز، كلها.. تمنحني الأمل..

* * *

(1)

شوارع كولونيا خاوية في الرابعة مساء، وألف شتاء في كوكب واحد، ومليون نسَمة يرتجف. المطر بلل، لا يهطل ولا يجف، عرَقٌ للروحِ. هذا المطر الذي حطم الحلفاء سحاباته، فأعاد النساء رفعها كتماثيل الحرية. كان الروس يهجمون مساء، والأمريكيون والإنجليز يهجمون نهارًا، تعاونوا على دك الأرض والسماء، وكانت إعادة بناء الأرض أهون من إعادة رفع السماء، على أذرع نساء كولونيا ذوات السيقان الرشيقة والعارية. هل ينتصر أحد في كولونيا بلا حرب؟ وهل تنتصب السماء بلا نصر؟

(2)

أحن إلى مارثا وهرمس، حين سكرتْ مصادفةً، وحين دعاني إلى عشاء في نزلهما. شيء بداخلي يدوي كجرس الإنذار حين أذكرهما؛ كي لا أزداد غربة. وينازعني الوفاء على غريزة البقاء، ويصطرع الكحول الذهبي مع مضاد الاكتئاب الأبيض الصارم في دمي. أرجوك أيا هرمس، ترجم ما كتبتُ إلى امرأتك، وأرسل لها مني تحية الأكوان.
بإخلاصٍ/
...

(3)

الوطن لم يعد بيتًا. أنا كائن وحيد الخلية. أسوأ أنواع الغربة أن يحتاج الآخرون إلى ميكروسكوب كي يروك. أنا أصغر من الوطن بكثير، وبلا كثير.
لم أعرفه إلا حين رحلتُ. وحين عرفتُ لم أجد فيه أصدقائي. المكان بلا صديق لغة غير مقروءة. والوطن بلا أصدقاء جدران تردد الصرخات وأحلام خالية.
لم يكن لي جسد إلا في الثورة. كان جسدي الميدان. كانت الأرض التي روتها دماء أصدقائي وطنًا. إن هذه الأرض وطني. الوطن حيث تسيل دماء الأصدقاء. لا يضيق الوطن إلا حين تجف. أولئك ينزفون لأجل الذين يغتربون. من ذا الذي ينزف من أجلي فأنزف لروحه أضعافًا مضاعفة؟ أرأيتَ أن قطرة دمٍ منكَ تذكرة عودتي؟ أرأيتَ أن دمكَ جنسيتي، وأن انسكابه أرضًا، أو فورته في السماء، رايتي؟ بل

أنتم تكنزون الدماء وتظنون أنكم اتخذتم وطنًا. أحسبتم أن الوطن هو حيث يُحقَن الدم وتجف العروق؟ أم حسبتم أن الدم مَدار في الجسد، وأن القلب فؤاد؟ الميدان فؤاد الدم، الذي يتداوله الأصدقاء. الميدان قلبٌ ملقًى في تقاطع الطرق، وقاع عوادم السيارات. قلبي على مدخل (طلعت حرب)، و(التحرير)، و(قصر العيني)، و(مُحمَّد محمود). لا أجمل من خطر نلاقيه وأيدينا في أيدي الأصدقاء. من ذاق الثورةَ مات: بالرصاص، أو بتوقف الفؤاد. يمجِّد له مَن في الميادين ومن في القلب، وهو الوحيد الشهيد.

(4)

صديقي يحادثني من القاهرة، وبخار المنوّم عنيدٌ في جماجمي الطافية في مدار حول مخي، كل منهن تريد اقتناصه، لكنهن يفشلن جميعًا. وأنا أحدق في المسافات، التي تتخارج كل منها من الأخرى كالتلسكوب الشفيف. وصديقي يبعد بلا مكان، وأنا أطفو على سطح المنوم تارة، وتارة أغوص فأحلم.

المقاعد التي تنفرد وتنطوي تتحول تارة إلى سراعيف بصفائحها المتداخلة، وتارة إلى مقاعد بريئة. أمتصّ دخاني وأطلقه حبلاً أتشبث به في الهواء فرارًا من بخار النوم، فتضحك المقاعد مني كأطقم الأسنان، وتقول: "إنه دخان!"

ويبقى مخي بلا جماجم.

أقول كلامًا لا أفهمه: أن مصر ليست بدعة تاريخية، وأن ألمانيا بها إضرابات عمالية، وأن المنظور هو الحقيقة، وأن الواقع في الدماغ. وصديقي يسألني عن معنى هذا كله، وكي أجيبه أحاول مد جماجمي في

كل اتجاه لاقتناص مخي، ولا مخ ولا مخيخ. أترنح في الخيال، حتى في الخيال.

(تطبيق ماذا) نافذة مفتوحة على مكتبي، يطل منها وجه صديقي بلا ملامح، وأجواء القاهرة بلا مدينة، لا أغلقها حتى حين يصمت. في المستقبل سوف يخترعون (تطبيق أين)، الذي سيمكنني من العبور بين مكانين، و(تطبيق متى)، الذي سأزور منه معالم ذكرياتي وأصدقاء طفولتي، و(تطبيق هل)، الذي سيخبرني بالحقيقة، و(تطبيق حَتَّامَ)، الذي سيريني نهاية كل شيء.

انسحبَ بخار المنوم فجأة أمام جبروت مضاد الاكتئاب المتجهِّم. ومددتُ يدي، فوجدتُ جمجمةً على عنقي، ملطّخةً بالدماء والأنسجة، وفي الهواء يتأرجح نصف مخ دامٍ، أشلاءَ وعيٍ.. لا تجد أنصافَها.

(5)

شيء يغطي روحي بجفن شفاف سميك. شيء يسمح بالرؤية ويمنع النور. الشمس لا تنسرب إلى صدري، ولا تشع على وجوهٍ حولِي. لا يكشف العين إلا ما حرق الكبد، لا يمزج الجسدَ كتمثال الشمع المذَوَّب. جسدي محدَّد، وعيني ثقب في صخرة. ظننتُ أن الجسم كانون، والروحَ نار، فلم تسعفني أعضائي إلا بانفجار السكون. فكرتُ أن الجسم شمعة وأن الروح يأكلها، فأمدتني أشلائي بالتفاصيل. الله عذاب والروح قطعة منه. بعض الآلهة تأكل خلقها، وبعضُ الأرواح. لا أعي أبدًا بنياني؛ فأنا لا أعي إلا حين يذوب. لا أعي أبدًا

زوالي؛ فأنا لا أذوب حين أنفجر. وأنا بين بنياني وانفجاري ظلام تقطعه لحظات الذوبان السعيد.

ها أنا ذا أتفكك في بطء، ويتخلل العدم بين جزيئاتي. ها هي الخلايا تنفك عن عُضَيَّاتها. إنني بروتوبلازما صافية، تسبح فيها كرتا عينين، بلا أجفان، ولا جحور.

ها أنا ذا أسبح في محلول الجسد: حين يُداخِل العدمُ الجسمَ، وأطفو ببطء لأعلى، وأتحرك في الزمان بلا مكان. أنا حرٌّ كثيرٌ وذائب، كثيرٌ وذائب.

(6)

الأرض حولي تستدير في كل الجهات، وتتحول كوكبًا بعيدًا بلا شمس. الضباب حولي أذرعٌ ومَمَسّاتٌ وأمعاء ملتفة، ويهطل المطر أخيرًا حامضًا، فتسيل الأرض وحلاً، وتنبت منها شعابٌ سوداء. ويظهر الطريق ويتبدد، لا أملك منه سوى ذكرى بلا ضوء. وأسير بلا نهاية. والكوكب يدور في الفراغ المنقعر، وأنا أسرِع قبل انثقابه. يتحرك في جِلدي ما أدمنته من قشعريرة. والعالَم.. أعراض انسحاب.

* * *

كل انفجارٍ، كل جسد يتفسّخ، كل أوراق الشجر الساقطة، كل قطرات تشعّ من اصطدام قطرة أمّ بسطحٍ، كل الموجات التي تتباعد عن المركز، كلها.. تمنحني الأمل في أن هناك عوالمَ أخرى، وإلا ما جذب شيءٌ الشظايا والأشلاءَ إلى خارج كل شيءٍ.

وفي كونٍ مجاور، له قوى الجذب على عالمنا، يعرِف الناسُ الانفجارَ بأنه انحطامٌ في مركز بالغ الصغر، ويعرِفون الموتَ بأنه اكتمال الجسد، وتكتسي الأشجار بالورق الساقط القادم من كل الجهات، وتتجمع الذرات في قطرات، وكل الموجات تنخسف في مركز دائرة.

.

أنا حزين.. لأنني.. لم أزرِ العوالم.

#

Köln 11.2015

وقائع مؤتمر "هيجل في السياق"

في هذه الغرفة المستديرة وقعتْ لغاتٌ كثيرةٌ. واستشعرتُ البللَ أن أفتح المظلة بالداخل، وتركت اللغاتِ مَطيرةً. ابتسمتُ للجميع، عالمًا أنهم يعرفون أنني قادم من بلد جاف. فكانوا يبتسمون ثم يستأنفون.
قالت رئيسة الجلسة في وجاهة، فرد عليا صاحب المداخلة في ارتباك. ولم ينس البروفيسور المسنّ الظريف أن يقول في طرافة. سادت انتقادات وتقديرات، ثم انتقادات للانتقادات والتقديرات. ثم تحولت القاعةُ: صاحب المداخلة لم يعد يتمركز، وتحولت الدائرة إلى أقطار متشظية. بعضها متناغم على شبه سلم كأنه لحن، والبعض ناشز. تداخلت بعضها في جزيئات كورال، وبعضها صنع تآلفات كبيرة أو صغيرة أو ناقصة أو زائدة. فقالت رئيسة الجلسة في هدوء. وإثر ذلك تلاشت الأقطار، وعادت الدائرة.
أجفل صاحب المداخلة الشاب، ورد في حرج. كانت لهجته الإيطالية ممدودة المقاطع تسمح بدس كلمة أو اثنتين من اللغات الجرمانية ضيقة المسافات من قِبل الحضور بين كل جملتين. لكنه ابتسم لأن الجميع في النهاية قالوا في تقدير.
وعندما انتهت الجلسة قال لي بروفيسور جواري في تساؤل، فرددت عليه في لا مبالاة، فابتسم لأن الأمر سيان.
فقلت في سري في ملل.

* * *

في استراحة القهوة سألني الإيطالي في فضول. فرددت عليه في تقدير مشوب بالنقد. وحينما وجدني لم أفهم، ابتسم، وقال في استعجال، فرددت عليه في أريحية. وهكذا افترقنا.

* * *

في الجلسة الثانية: طرحتْ بروفيسورة كبيرة في ثبات. وحدثتْ لغات كثيرة في صمت. فوق سطح السكوت نمتْ بعض الكلمات، لكنها لم تكبر. وقالت البروفيسورة كثيرًا. فقالت لي سيدة جواري في دهشة. فرددت عليها باختصار. وفي نهاية المداخلة قالت البروفيسورة في لحن هابط يناسب الختام.

تراجع الحضور تهيؤًا لهجوم حذِر. وحين قالت في النهاية طرقوا على أطراف المناضد في تحية، ثم قال أول المعلقين في تقدير. سارع البروفيسور الظريف في طرافة. ضحك جاري وقال في تأكيد. نهض شاب صغير وقال في ذكاء. فقال أكثر من واحد في تشجيع وإعجاب. سألتني رئيسة الجلسة عن رأيي، قلت في نقد واستحسان. لمح بروفيسور في تأكيد. فردتْ عليه في استعجال، وهي تنهي الجلسة.

* * *

تحرك الجميع إلى الغداء.

أخذتُ مظلتي المطوية، وخرجت من باب آخَر.

خرجتُ للشمس المسلسلة بالغيوم.

رأيت أشلاء ظلي.

بكيتُ.
بكيت وأنا أشهق.
وأنا أُسبّح في الطريق:
"صباح الخير..
مساء الخير..
صباح الخير..
مساء الخير..!"
#

Köln 10.2.2015

أُخطورتي، أُرفوضتي، أُحبوبتي.. أسطورة

يسألني أستاذي عالِم اللاهوت:
"أي وحيٍ ستدْرسه، وأنت تعد رسالة علمية؛ لتقول أنك أحد الآلهة؟!"
فأُرسل عينًا، تقلع أعصابها من تروس وصامولات اللغة الألمانية،
وتتحرك بلا رأس أو جفون،
وتزحف على زجاج النافذة المقابلة، بحثًا عن قوقعة.
ينظر لي منتظرًا،
فأنتبه،
ولكن مخي يخرج كقنديل من جمجمتي،
ويسبح في بطء في الفراغ،
حتى أعصابي تغيّر أغشيتها،
وتبحث لها عن أجساد أخرى بين جسدينا.
يذكر اسمي،
فأنتبه،
لكن أسناني تذوب كحبّات النعناع،
ولساني يتحول إلى ثعبان بحر،
فأنظر له صامتًا،
أقاوم الضحك في وقار!
وأراقب بطني المنخسف؛
لأن أحشائي تجف بين جنبيّ،
كأوراق نبات في كتاب.

يسألني مرة أخرى: ..؟
فأنتبه،
لكني أحس أنني لم أعد سوى صندوق مجوّف،
فيه قلب يدق دقات مفرغة،
في برميل خشبي،
ليس فيه سوى بقايا مصارين على القاع.
وحين سألني للمرة الثالثة،
لم أتمالك نفسي،
ورجعت للوراء، مطلقًا ضحكة خرافية..
صامتة!

* * *

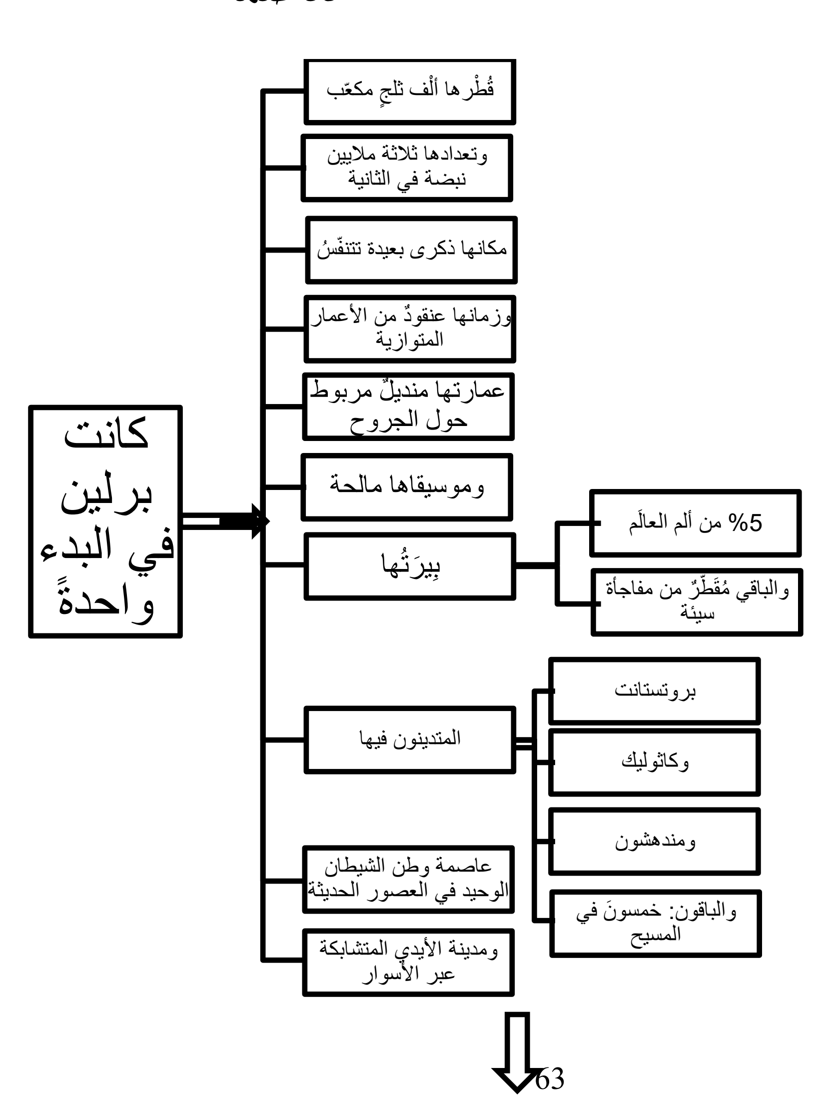
يا سيدي ماذا تسل؟
أنا ألقي بالأوراق البيضاء أرضًا، فتصير سوداء.
أضع نقطة حبر واحدة في بياض الصفحة،
فتنبض الأخاطير في ليل الأرافيض.
أرشف من كأس واحدة،
فأحب فتاتي،
وأشم على جلدها رائحة الخبز.
أنت تعلم من أي عالَمٍ جئتُ،
لكنك لا تعرف إلى أي عالَمَ سأذهب.
أستطيع أن أتكلم لغتك، وأكتب حروفكَ،
وأنت جالس في مكتبك.

أنا حاصرت أوروبا بكل اللغات:
من الإنجليزية في الشمال،
إلى الألمانية في القلب،
إلى الإيطالية والفرنسية في الجنوب،
إلى الفارسية والعربية في الشرق،
إلى اللاتينية واليونانية في الماضي،
وأنت جالس في مكتبك.
أنا حملت على جلدي وشم الصحارى،
وتنفستُ الشمسَ،
ثم أحضرت هنا عينيّ في كوب ماء مُجَمّد،
واعتصرتُ أثداء السحاب،
وأنت جالس في مقعدك.
يا سيدي أنا عبرت من الحياة إلى الموت،
ومن الموت إلى الحياة،
على ناصية (مُحَمَّد محمود)،
وحيث حال الدخان بين عالَمين،
وأنت جالس في عالَمِك.
يا سيدي أنا حلمت حلمًا لا يجوز،
ولم أبلغه ارتفاعًا،
أو أخرق الأرض نحوه سقوطًا،
فلا تسل عن وحي الآلهة.
الوحي قصة حب.
واللاهوت كأسي المفضلة.
حبيبتي راهبة في شرنقة.

تراقصني على أنغام (الخنافس):
"أمس بدت مشكلاتي كلها بعيدة للغاية،
وفجأة لم أعد نصف الرجل الذي تعودتُ أن أكونه"
وتبكي لأنني سأرحل،
وأنني لن أدخل إلى شرنقتها.
وأنا أواسيها أن العالَمَ تحكمه حشرة،
نخرتْ في السماء،
وستلفنا كلنا باللفائف.
كل هذا وأنت جالس في مكتبك،
تقرأ المخطوطات،
وتتلقى الوحي.
* * *
أنا لا أُوحِي إلى أحد يا أستاذ!
#

Köln 30.1.2015

العاصمة



كانت برلين في البدء واحدةً
قُطْرها ألْف ثلجٍ مكعّب
وتعدادها ثلاثة ملايين نبضة في الثانية
مكانها ذكرى بعيدة تتنفّسُ
وزمانها عنقودٌ من الأعمار المتوازية
عمارتها منديلٌ مربوط حول الجروح
وموسيقاها مالحة
بِيرَتُها
5% من ألم العالَم
والباقي مُقَطّرٌ من مفاجأة سيئة
المتدينون فيها
بروتستانت
وكاثوليك
ومندهشون
والباقون: خمسونَ في المسيح
عاصمة وطن الشيطان الوحيد في العصور الحديثة
ومدينة الأيدي المتشابكة عبر الأسوار

كانت برلين ثانيةً واحدةً، فقصمتْها خطوتي فيها نصفَين

منذ آلاف النجوم عرف (لوكي) الأرض. هذه التي يأتيها الثلج ضيفًا، ويستوطنها شتاءً. غامت بها الشمس كغيمتها من حيث جاء. وقَدَرُ أحد الآلهة أن يقتُل أو يسرِق. احتمل الجريمة في سبيل العقاب. والسلاسل والحيات مفاصله في الأرض. قَتل ليموت الآلهة، والحرية نهاية اللاهوت

ألمانيا جوهرَ العالَم الفرد. والشعب قُدّوسٌ من مغارب الشموس

من دم (لوكي) تقطَّرَ المطر، أولُ ساكني المدينة، ومؤسسُ الحضارة. كان المطر ينحتني وأنا أخطر في طرقات برلين. أصير مرةً نهرًا، ومرةً صخرةً مُنَقَّرةً. يُخرج من أعصابي آخِرَ نَملاتِ المخدِّر وحيّاته، لتقيدني سلاسل من عناقيد العيون

الثلج وحيٌ ليس من هذا العالَم، ودماء ضحايا أباطرة الأرض ليست تفتديه. دم القتلى خمرة الثلج. والثلجُ وحيٌ

منذ أرضٍ بعيدة نزل (ست) الواديَ. أول الإرهابيين في مصر، وأول الوطنيين. حرية الأرض رهينةٌ بألوهتها، الأرض التي احتوت جسم الإنسان لن تُسْتأنسَ إلا بأجسام الآلهة. كان (أوزوريس) بذرة، والشجرةُ النهرَ

أهرَمَتْ مصرُ في السموات، وتألّه الفراعين

التراب نصيب الأحياء من الموتى، وعواصفه قشعريرة الأرض. أصير تارةً تمثالاً حجريًا، وتارةً جثة ناضجة قبل أوانها. يزرع في رئتي الأرضَ التي لا تراها—وأنا أهرّبها—أشعة الماكينات في مطارات العوالم

الطين وحيٌ من الأرض. أكَلَ كل وحيٍ يخضورَ الأرض والطينُ أزهره. أَرسل النخلات كأصبعي النصر على الصحارى، وغزل الأشجار ثوبًا للوادي. ولكن الطين وحيٌ

والوحي لا يعود إلى السماء إلا دَمًا

برلين لا تراك يا طفلتي. لا تنعكسين في ثلج، ولا في عيون التماثيل. مخطوطٌ أنا في كَفِّكِ، ومأثور–دون خُطَى–على قاع المدينة، يا طفلتي المرسومة على لوحات (مارك رايدن)، بالمجون البريء، واختراق المحرمات، والعمر القصير

الحب ليس وطنًا يا طفلتي، الحب جنسيّة. بيني وبينك البلاد الفاسدة على أغصان التاريخ. نمارس الحب كي نتقن الثورةَ. والثورة رقصتنا الدموية. الحوائط التي تعالت حول الميدان لتقسم القاهرة إلى لب وقشرة.. هي آخِر البيوت، وأول المشانق

"نقشَ القدامَى المعابدَ، ونقشْنا الأسوارَ. عبدوا أنفسهم، وعبدنا الحرية. سجلوا الحروب، وسجلنا الثورات. وكانت الانتصارات حكايةَ ما كتبوا، وكانت لنا الهزيمة قصةَ حياة"

حين تشابكت الأيدي ماتت الجدران واقفةً، وصار السور طللاً قبل أن يدرِك

فرت الأرض من حصارها، وتحرر الإله

القديم

"لعننا آباؤنا قبل أن نلعنهم، وهتفوا لقتلنا. كل طفل من جيل الهزيمة قتلته أمه وأبوه.
انخفضتْ البنادق.. وجفّت الميادين"

السماء لا تعترف بهزيمة ولا بنصر. السماء عبثٌ

كالموت. والرمادي لون الحداد. كلما خاطَ الآلهة

غيوم السماء في الصباح ارتدّ بصري، وأشعلتُ

الشموع كي أتذكّر شكل ظلي، وحرثتُ مخي،

وبذرتُ فيه حبوبَ الاكتئاب

"احترقت السماء في الصباح، فظنناه الشروق.
كثُرَ الموتى، فثار التراب.
ومات الطين حول النهر"

عادت برلين ثانيةً واحدةً،

وانقسمَت القاهرات.

وآخر وصايا أبي أن اتركْ

ظهرَكَ للشمس والدفء.

ومن الوصايا تشخيصُ أسبابِ

الموت

Berlin/Köln
2014-2015

(هُورِيم) لا يذهب إلى (فِيدَرْزْدُورْف)

نحن الذين جربنا كلَّ شيء لنكفر به،
حتى نفد الكون.
نحن الذين وقفنا على الثلج،
ننتظر القطارات الخطأ،
لتصحبنا إلى كابوس مختلف،
فوقفنا دون تاريخ.
نحن عابدو الـ(الله-بلا-كون).
نحن العارفون أن الدماء لا تستصلح الأسفلت،
وأن الرصاص آخر القطارات الراحلة،
فمن يتخلفْ،
يجدْ له بقاءً رصدًا،
وحزنًا بلا شبيه.
نحن الذين لم نعد نضلّ في العدم،
وصرنا نحفظ كل ظل لطللٍ زالَ،
كل شبح،
كل طريق ممحوّة.
عرفنا كل (لا) قبل أي شيء
-حتى قبلنا-
فشفّت أجسامنا حتى لم نعد نُرَى،
وشفت عيوننا حتى صرنا عُمياناً.

مكاننا راحة الله الخاوية،
والعدمُ.. علّمَنا النقاءَ.

* * *

نحن بلا شيء نخسره،
ولا نكسبه،
ولا ينازعنا فيه غيرنا.
لا شيؤُنا اللا محدود كنزُنا الحصين.
حين ضربوا أصدقائي بالرصاص،
وألقوهم في القمامة،
وحين اختطفوهم وأغلقوا عليهم الأقفاص،
وحين رأت الناس ذلك،
ولم تشتعل السماء،
ولم ترسَل الأوبئة،
ولم يأت الله بنفسه لتقصي الحقائق،
عرفتُ أن اللا شيء..
خَبَرُ كل مبتدأ،
حرف جرٍّ خارج الأبعاد،
نعتٌ لمن لم تعد لهم صفة.
(لماذا صار لي شكلٌ،
بعد أن لم يعد لي جسد؟!)
أقف آبِدًا..
منتظرًا (لا شيئًا) قد تأخر عن الأزل،

والناس ينصحونني:
"هوريم لا يصل إلى فيدرزدورف"!

* * *

أحلم بذلك اليوم الذي أراه
يومَ نطلع كالشمس،
ونفجّر المسافات،
والفراغ،
واللا تناهي،
كالفقاقيع تحت جلود القتلة،
تحت جلود كل شيء،
وتخرج من الأجساد الدماءُ،
ومن الأشياء النيرانُ،
ونرقص تحتها في براءة،
كصِباغِ الكرنفالات الفاقعة،
وألعابها النارية،
وتتحلى القتيلات كالعرائس،
ويخطو القتلى كالفرسان،
وأبتسم أنا ابتسامةً كاملة،
وأحبُّ الجميعَ.

* * *

فقط اللا شيء نملكه
فقط اللا شيء سلاحنا الوحيد.
#

Köln 26.1.2015

جزءٌ مِن عشرة أجزاء مِن ألف جزء

لا توجد سجائر في هذه المدينة.
لقد نَفَوْا كل أطفال الدخان وهم يرضعون.
رأيتُ آثار أقدامهم الحافيةَ الدقيقةَ على السماء،
وهم يخرجون منها؛
فالسماء لم تعد تستقبل سوى أسلاف الأدخنة،
وهم يعلنون انتصارَ الأجيال،
ويتّخذون بعضهم بعضًا من مداخن المصانع والحروق،
ويَحْمِلون عبقَ الأرض.

.

كيف نقضي عشية الثورة برئات عذراوات، لا تتنفس السماءَ؟
كيف نستعد للدمار، ونحن لا نحترق؟
كيف نقول أننا مستعدون للموت، ونحن لا نفتح له حَوْصَلاتٍ
ليحرث حدائق الهواء؟

.

إنه يكذب..
مَن آمن بشيء، وهو لا يهاب الموت.
السماء تستهين به،
والآلهة يلفّونه في كفنٍ رقيق،
ويدْعُونه تبغًا ممتازًا،
ثم لا يستنشقونه!

لا تكن لفافة تبغ بين إصبعي إله.
كن جثة محترقة،
مدفونة على عمق سحيق،
في صدور الطواغي.

* * *

جارتي اللا دخانية..
تتهمني بالشيشة والسعوط،
وقليل من (تبغ المضغ).
تراني-أنا مواطن العالم الثالث-
إرهابيًا محتَملاً،
أريد اغتيال السماء البيضاء،
ولو بدون سجائر.
تقول أن الإسلام جنسية.
فأرد عليها أن النازيين قالوا قولتها عن اليهود أول مرة.
وأختبئ خلف حجارة اليهود وأشجارهم.
وأشعل ما التفَّ من التبغ،
وأتمنى للسماء اختناقًا هادئًا.
هذا الدخان يا سماء..
جزءٌ من عشرة أجزاء من ألف جزء..
مما تَحَارَق من الروح.
* * *

لا أزفر الدخانَ، في ليالي الاعتبارات،

بل أتركه يتسرب من مواضع تقبيلي للهواء،
ثم تمتد أذرعه،
وتُجسِّد –في نماذجَ نصف مرئية–
ما أَفهمه من موسيقَى،
وأهز رأسي موافقًا في تأسٍ،
كلما أبصرتُ شكلاً جديدًا،
وأقول أنني يومًا سأكون قد خلقتُ كل الصور التي احتزاها الآلهة،
وأقول بوعيٍ مكتمل،
وإرادةٍ لا دور لها،
إنني أحدهم،
قد نفوني عن مجلسهم؛
لأنهم لا يدخنون.

* * *

الدخان عزيزٌ
يحمل رائحة الأب الراحل
والأصدقاء الأبعدين
يحمل مشهد صديقتي، التي احتوت يدي بحنان
وأنا أحكي لها عن امرأة أخرى
يزرع في خلاياي السرطان
ويحصد المحبة،
وهو أرحم القاتلين.
#

Köln 26.1.2015

SSALGTRA, ERA

المخدِّر الخبيث لا يغرق في كوب القهوة المركزة، ويمشي على السوائل بخفة رسولية. تلوّث قدميه الرغاوَى، فيجلس يستريح على أرخبيلها، مستمتعًا بشمس مصباح المكتب الدائمة. إنه ذو حظوظ؛ فهو لا يمر بالفصول، ودائمًا دافئ. يمارس أحيانًا لعبة الصيد على الفقاعات واهنات الذاكرة، الصاعدات من القاع. يتمتع بمورد مُرّ ومُسكَّر. ليس ينحره الموج. يجلس تحت سماء اسطوانية مفتوحة شفافة في كل الجهات. وحتى حين أرشف من بحيرته، يعيد الأرخبيل تشكّله، فيستكشف العالم الجديد. حتى القاع البعيد نصف شفيف، يرى من خلاله سطح المكتب، وملصقات بيرة ميونيخ عليه، ذوات الألوان الزرقاء والصفراء والخضراء.

إنه عليم أنه إذا حلَّ فمعنى ذلك أن مضاد الاكتئاب قد انصرف، أو لم يعد يأتي. إنه سعيد ومستمتع بالطبيعة والوحدة. المخدِّر آدم بلا إبليس ولا رب. والقهوة ليست جنة، لكنها عالم يكفي.

وحين أجرع جرعة كبيرة أخرى أملاً في طرده يتلاشى الأرخبيل، وتكسو الفقاعات الجامدة السماء الاسطوانية، التي لا تعود شفيفة تمامًا، كخلايا النحل، أو كازدحام نجوم وألعاب نارية في ليالي كريسماس. إنه يعرف الكريسماس لأنه يزور العقول في ليلاته، ويحب سماواته.

الرشفة الثالثة الشرهة أكفتْ الفقاعات أن تتكون. ولم تعد تكسو كالأنسجة الزجاج المخضب بالبن الذائب. إن البحيرة تضمحل نحو

بقايا البن الذي لم يذب. ومن خلل المسافة ونور المصباح يرى قاعدة الكوب اللامعة، المصقولة كالبللور، التي تكَبِّر رسوم بيرة ميونيخ، وتمنحها لونًا بنيًا كلون بيرتها السمراء.
مع الرشفة الرابعة تلاشت تمامًا نجوم اسطوانة السماء، واقترب القاع. كان بدأ يتردد ويخاف. الرسل يمشون على السوائل ويغرقون في القيعان. والزجاج يعمل عليهم كما يعمل الماء علينا. ما هو مصقول بالنسبة لنا طبيعة بالنسبة لهم، والعكس. وصار يبصر انعكاس أسطوانة السماء واضحة على سطح البحيرة الضحل، ولم يعد يصطاد مخلوقات بُنية.
في رشفة أبعد اتضحتْ علامة الصناعة على القاع معكوسة "*SSALGTRA, ERA*"، وعرف أنه ينسحب إلى هاوية (جمهورية مصر العربية)! رباه! لقد حسبتُكَ اشتريتَه من هنا. وهو لا يدري أن القهوة الألمانية لا تتحول إلى بحيرة إلا على القيعان المصرية.
غرقَ الرسول في البللور. يحتاج الرب إلى إعادة النظر في حاملي الوحي العقليين.
وحينما بلعتُ بحيرة كاملة داكنة، أنّتْ معدتي، واحترقت أطرافها. كثير من القهوة كفيل بإصابتي بالأرق بعد الموت. رباه! ابعثْ برسول معوي! أحتاج الآن إلى رسول!
#

Köln 22.2.2015

Hergestellt in Jötunheim

Die Gebirge entstanden aus Himmel und jeder Himmel ist aus Horizonten des einen Gottes hergestellt. Mein Herz ist ein verkleinertes Modell des Winters der Welten, und aus meinem Willen zum Einräumen hergestellt. Alleine laufe ich wiederan, alleine, wie ich vom Anfang fand und niemand mir entstand. In Jötunheim passieren Winter wie Herzen, und die Ruinen laufen zwischen Himmeln und Erden wiederan. Mich baue ich aus Kälte, Schnee und Furcht wiederauf und von mir bin ich wiedererkannt. Dick wie Erde sind meine Schuhe und dünn wie Licht ist mein Schritt. Ich räume ein, räume aus und räume um. Ich enträume Alles als Skelet aus der Nichtigkeit.

* * *

Hierbei wurde Loki angekettet, und alle Metalle dieser Welt sind auf seinem Herz geknüpft. Wovon träumt er in diesen Altern? Worauf wartet er vor Ewigkeit? Auf den Berg steige ich auf und vom Horizont bin ich plötzlich verträumt. Bin ich das Beste dieser Welt und was das Schönste ist? Fand ich nur in Jötunheim.

* * *

Blitze sind Spalten im gefroren Himmel, der nicht fiel. Gefroren entstand alles von nichts bis Ewigkeit und alle Bedeutungen sind

verdinglicht aus der Unendlichkeit. Mein lieber einsamer Gott stirbt jetzt, deshalb suche ich mir einem gekühlten Neuen. Von ihm war ich immer losgelöst und von mir bin ich hiernach immer angebrochen.

* * *

Entstanden sind jeden Morgen neue Berge und gestorben sind alte Himmel. Horizonte sind die Träume der Jötunheimer und Regen ist die Feuchtigkeit ihrer Seelen. Ich enträume alles, so bin ich im Hier, tief im Hier, wie die Zeit. Auf Jötunheimisch spreche ich in allen Welten und auf Hierisch tanze ich. Keine Götter sind in Jötunheim oder Menschen, sondern nur die Giganten, und das Ich. Ichisch kann ich, Ichisch gibt es. Im ichischen Spiegel ist Loki vergöttert und in ihm bin ich gespiegelt. Was für eine Kälte in den Spiegeln! Was für eine! Wieder werde ich schaudern, wie ich süchtig bin!

* * *

Gegen Odin ist Loki aufgestanden und für meine Freiheit wurde ich auf dem Platz der Freiheit erschossen. Angekettet wurde Loki und aus meiner Welt wurde ich verbannt. Ein Krebs von Leere verbreitete sich in meinem Universum aus Verlust. Verlust ist mein Jötunheim, ist meine Ver-heiten. Ver-ge-icht wurde ich und verloren ist mein neues Ich. Mein Odin hatte Polizei anstelle Götter und Walküren, und ich hatte nicht das lokische Können, die Formen zu ändern. Stat dessen hatte ich meinen Willen zum

Machen. Verlust wurde meine Kette und Gefühl wurde mein Gift. Wie kann ich all das nur besiegen? Wie kann Loki ohne Weltende? Ende ist der Alliierte des Lokis, Ragnarök ist sein Siegen, also wie kann ich da ein Held der Unendlichkeit sein?!
Endlos ist alles und alles ist los!

* * *

Mein Gott hat Krebs der Leere,
deswegen reise ich auch aus Jötunheim aus.
Und auf diese Weise bin ich zwei mal verbannt:
ein mal aus meiner Welt,
ein aus der Welt des Schnees und Heldentums,
in die Welt des Krebses.
In allen Dingen enthüllen sich die Zellen der Nichtigkeit,
und göttliche Tumore verbreiten sich als Tod und Vernichtungen in allen Schaffungen!

* * *

In allen Welten folgte ich dir, Loki, bis ich dich im Norden der Welt fand,
doch ich jetzt keinen Odin oder anderen mit dir widerstehen kann.
Wenn Odin die Tumore der Nichtigkeit hätte,
verstündest du, was ich meine,
würdest du die Bedeutung der unendlichen Reise begreifen:
von der Welt der Ruinen

in die des Todes
und der Einsamkeit!
#

Köln 4.12.2014

V

انفطارات

المقبرة القديمة

Alter Friedhof

أخبروني أنها رحلة وسأعود.
ابتسموا لي جميعا في مرح واشتياق،
ولوحوا لي بالأكف.
كان مقعدي ممتازًا جوار النافذة.
استمرت ابتسامتي قليلاً،
وأنا أتأمل ما حولي:
السقف،
الأرضية،
رفقاء السفَر،
وتساءلت: لماذا ليسوا سعداء مثلي؟
وحين صرنا عالقين بين الأبعاد قربَ الشمس..
بدأت أرى عظامهم،
ولفائفهم البيضاء،
وآثار المودّعين السوداء على وجوههم.
وحين ارتفعنا أكثر غصنا في البياض،
ولفتني السحب بكفن ناصع ورطب،
وعادت أعصابي تصرخ،

كأن الله يسري فيها!
غامت عيني بغشاء عنيد،
وغاض قلبي، والتأمتْ فوقه أعمقُ الأنسجة،
ومددت يدي أصافح آخر خيوط الشمس الواهنة،
وهي تضيع في السماء المضيئة بقسوة،
وأنا أنطلق دون إرادة مني،
دونني أنا،
أنقسم:
قسمًا يتلاشى كالروح،
وقسمًا ينقذف في الهواء كشظية من شظاياها.

* * *

حين خرجتُ في الصباح الباكر بحثًا عن الشمس..
مررت عليها:
"**المقبرة القديمة** Alter Friedhof"
كانت الشواهد السوداء القوطية..
مشققة،
أو منقسمة،
ومنتصبة فوق الأرض البيضاء،
ووسطها تمامًا كانت شجرة مختلفة..
عملاقة،
ومخيفة،
لها ثمار ضخمات سوداوات،

كل منها هو الموت،
وكل منها ينضج كل دقيقة، ويسقط،
فيصدر عنه صوتُ تهشمِ قشور البيض.
وأنا أمشي أتأملها في استغراب فضوليّ من بُعد:
سقط موتٌ،
وانقسم إلى: موتٍ، وغربة.
سقط موتٌ،
وانقسم إلى: موتٍ، ونسيان.
سقط موتٌ،
وانقسم إلى: موتٍ، وأنثى توقفتْ عن الحب.
سقط موتٌ،
وانقسم إلى: موتٍ، وطللٍ.
سقط موتٌ،
وانقسم إلى: موتٍ، وطفل وحيد.
سقط موتٌ،
وانقسم إلى: موتٍ، ورحيل صديق.
سقط موتٌ،
وانقسم إلى: موتٍ، وموت أمٍّ.
سقط موتٌ،
وانقسم إلى: موتٍ، وبرْد.
سقط موتٌ،
وانقسم إلى: موتٍ، وظلام.
ومن البعيد بدت الشواهد الشريرة تَنبت..
مِن كل ثمرة سوداء مهشَّمة،

لتغطي الأرض الخضراء..
بلا انقطاع!

* * *

في القطار..
تملكني ذلك الوسواس الذي يهاجمني أحيانًا في الصباح:
أنني تسببت في إجهاض امرأة وخسارتها جنينها!
وأتساءل من أين تأتي هذه الفكرة؟
وهل هي بدايات شيزوفرنيا ما؟
حين نطقتْ فتاة تجلس خلفي مصادفةً لفظة Verlust (فَقْد)..
ترجمها عقلي الغامض تلقائيًا أنها "خسارة جنين"!
ثم أفقتُ على تعسف هذا التأويل،
وغرابته الشديدة،
وأتساءل مَن تلك المرأة التي أجهضتُها،
أو سأجهضها؟
وهل هذا الجنين منّي أنا؟
وفي أي ظرف حدث هذا أو سيحدث؟
وفي أي زمن حدث أو سيحدث؟
وفي أي عالَمٍ..
تكوّن ذلك الجنين،
ثم انحلّ..
كعنقود.. ينفرط؟
أبكي من الحيرة كبطل دوستويفسكي وهو يتأمل قباب الكاتدرائيات،

لكن لا أحد يلاحظ؛
لأنني أرتدي دائمًا منظاري الشمسي،
حتى وأنا تحت السماء التي ضاعت فيها الشمس.
أخبروني أنها رحلة وسأعود،
لكن الأرض تهبط،
والقطار يسرع في ضجيج متصاعد،
ويبدأ النفق الطويل،
وأغوص أكثر فأكثر في السواد،
كشظية الروح،
وأسري في أعماق الأرض القصية..
وَ
حِ
يـ
دً
ا
..................!
#

Köln 18.9.2014

شَجاعة الكينونة

هبطتُ على الأرض،
فوجدت بلدية العالم قد نشطت،
وتكنس-كطوفان ما -كل الكينونات المخالفة.
ورأيت الكينونات تنكمش،
كالرخو في حلزونه.
تغلق آذانها وأعينها،
وتتقفل،
وتوقف أمخاخها عن الدوران،
حتى لا يأخذها الرب مخالفةً.
وعلى ضفة الطريق الأخرى رأيت كينونات كثيرة مشاغبة،
تتشاجر مع الملائكة،
حتى يعيدوا لهم ما افترشوه مِن الفراغ.
والرب يرسل جنده المركزيين،
يحاصرون كينونات محدودة.
جلستُ على مقهى في قطعة من الجحيم تشع شمسًا،
وناديت كينونة خائفة.
وطلبت حجرًا وشايًا،
فأطاعتني بعين صاغرة،

وعين تحدق في جند الرب مرتعدةً.
ووقفتْ جواري في انتظار أوامري،
رغم أني لا آمر،
لكن شيئًا بمظهري بدا لها عجيبًا، كأنني قادم من أعلى.
لم يكن مظهري هو السبب الحقيقي،
لكن له حكاية أرويها:..

* * *

كنت طويلاً نوعًا،
نحيفًا جدًا،
عظامي بارزة كأنها خارجة من جلدي،
وأرتدي فراءً كالضباع،
وحركاتي،
بطيئة متجاوزة لمسافات طويلة،
كأن المكان تحت أطرافي ينكمش.
ولي نظرة محدقة مريبة،
كنظرة الكينونات المفترسة من أقفاصها إلى الجمهور،
كأنها تقول:
"لو-فقط- أخرج.."
هكذا يراني (مَن-كان-في-العالم).
أما أنا نفسي..
فلا أرى سوى كينونات بلا شخوص،
أغلبها خائفة،

بعضها يائس وبليد،
وكلها تنتظر شيئًا ما.
تتحرك في العالَم،
وهكذا -فقط- تستطيع أن تتلامس.
هذه الكينونات لا تعرف كل هذا،
لكنها تحدس شيئًا يبدو في مظهري مخيفًا،
فتقول في ذاتها:
"إنه كائن مفترس،
لكنه ينتظر حتى نموت.
إنه ينتظر -على أية حال- شيئًا ما سيئًا
لنا.. سيحدث"!

* * *

لم تقترب مني..
على ذلك المقهى المشمس..
سوى تلك الفتاة.
كانت شُجاعة فعلاً،
قادرة أن تقتحم بجسدها الممتلئ الجميل كومة من الصخور والصخور.
حين اقتربتْ مني لاحظت أنني لا آكل سوى اللحوم وأشرب النبيذ،
حتى ارتفع في دمي حمض اليوريك والكحول،
وأصابني لذلك التهاب في المفاصل حتى تورمتْ،
وحتى توهمتُ أن المعاني تصدمني حين أفكر عن طريق الخطأ.
قالت لي مُشرِفَتي:

"لا تفكر كثيرًا بتهور حتى لا ينكسر لك مفصل لا قدر الله"
وهي لا تعرف أنني -فقط-
أعاني من زيادة حمض البوليك!
وضحكت كثيرًا.
أحببتُ هذه الكينونةَ الرقيقة الشُّجاعة.
الشَّجاعة جميلة،
وفاتنة.

* * *

سألتني عن مكاني،
فقلت لها هو بعيد وقبيح،
وفيه بقايا فريسة سابقة.
سألتني عن زماني،
فقلت فيه تداخل الأزمنة في الألمانية،
بين المستقبل والحاضر،
وبين الماضي والمستقبل،
وفيه أوقاتها غير المعروفة في غيرها من اللغات.
سألتني عن شخصي،
فقلت لها بصراحة أنه رحل في حدود علمي.
ومع ذلك تخطت كل ذلك وجاءت إليّ.
فقبّلتها أول حضورها،
واحتضنتها بقوة حتى أشعر بنهديها.
طلبتْ أن أطفئ النور كما في الأفلام العربية،

فاندهشتُ،
ربما يكون هذا فيلمًا لكنه ليس عربيًا بحال!
لم تكن هذه مشكلة.
أطفأتُه،
وغصت في جسد كينونة صارخة.

* * *

أفقت على دفعها لي،
وهي تبكي،
وترتدي قميصها على عجل.
اندهشتُ مرة أخرى.
قالت أنها كرهت مكاني،
وزماني،
وشخصي،
وكلامًا قليلاً.
استغربتُ من فريسة بشرية..
تتهم كينونةً مفترِسةً بشيء كالتحرش الجنسي.
حاولت إفهامها أنني آكلكِ يا فتاتي،
آكلكِ،
أنا لا أعاكسكِ!
وعَرِيني تسبح فيه بِحُرية أشلاء سابقةٌ في الفراغ.
ما الذي فاجأكِ؟!
كيف يمكنني أن آكلكِ دون أن أمس جسمكِ؟

وكيف يستقيم الافتراس والعفة؟
لكنها لم تفهم،
وأصرت مرتعبة على الرحيل.

* * *

هجرتني حبيبتي في الصباح،
فالتقاني هيدجر في المساء.
غابت قطعة الجحيم من السماء،
فدفعت حسابي،
وغادرت المقهى،
جائعًا
جائعًا بحق!
#

القاهرة
2014/8/24

اللقاء الثاني مع (جودوفسكي)

تصعد وتهبط في دمي
(نزهةٌ) لشومان من عزف جودوفسكي[*]
كعوّامة منسية.
اليوم فقط،
بالذات،
أجدها.
هل هي رسالة؟
هل هي علامة؟
هل هي فقط عوامة قديمة؟
اليوم بالذات تلقيها في تجويف أذني الفاغر،
ككهف على شاطئ،
أمواج الراديو الأوروبي.
نعم..
لقد فارقتُها منذ قديمٍ
منذ ربع قرن
حين دخلتُ الفصل للمرة الأولى

[*] *-Promenade from Schumann's Carnaval, Op. 9 No. 20*

وتلفّتُ حولي
فلم أعرف أحدًا
للمرة الأولى في حياتي لم أعرف أحدًا
عشرون تلميذًا أو أكثر لا أعرفهم كلهم
والمعلمة التي أشارت لي للجلوس
والتلميذ الذي قال لي في إغراء:
"هذا مقعد جيد؛ لأنه يتيح لك رؤية المعلمة وهي قادمة من الباب"
كلهم لم أعرفهم
خرجتُ من بيتي
من دفء جدتي وأمي
وحارة السيدة زينب
إلى غربة صغيرة
لكنها كانت –في ذلك الوقت– على قياسي
واليوم أيضًا أعود إلى غربة على قياسي
قياسي الذي صار فضاءً بحجم العقل،
والعُمْر،
والحزن.
أعود إليها من شتاءٍ وثلجٍ
وضواحي كولونيا
أعود إلى قاهرتي التي كانت جدة
وأمًا
ودافئة
فلا أعرف أحدًا أيضًا
أنت..

هل أعرفك؟
أنت..
ربما أنت..
هل أنا نسيتُ،
أم أنهم أيضًا لا يعرفونني؟
صعبٌ على الشجرة الكهلة
أن تنشب جذورها في أرض القاهرة الإسمنتية
أو في لوحة خشبية
تصور (حقول القمح) في متحف لفان جوخ بأوروبا
صعبٌ –لو تدري–
أن تفتح بابًا
في ديكور اسْتُدْيو
أو تجذب ستارًا فيه وتكشف ما وراءه
صعبٌ أن تكتب شِعرًا
بأي لغة تتكلمها مع أناس لا تعرفهم
صعبٌ أن يسكرك خمر
لم يُعصَرْ لكَ بالذات
أو أن (يصنع لكَ رأسًا) حشيشٌ
لا يعرف زبائنه.
أليس كذلك؟
بم التعلل؟
الأهلُ،
والوطنُ،
والنديمُ،

والكأسُ،
والسكنُ،
كلهم، حين عدتَ
لم يعرفوكَ!
وعوّامة جودوفسكي ترحل من كهف الأذن
رويدًا رويدًا
وأنت تعود
-كما جئتَ-
غريبًا
وتجلس على مقعد قالوا أنه جيد،
وتنتظر وحيدًا بلا حيلة
-في الضياع الهائل-
من يأتي ليصحبك إلى لا مكان
ليعود بك إلى بيت صار حطامًا حقيقيًا
بعد أن اغتاله الزلزال،
إلى موائد خالية
في المقاهي والبارات المهجورة،
إلى تطور عكسي للقصيدة العربية:
من الحداثة الملونة المفكّكة..
إلى الأطلال الباهتة المشقّقة.

* * *

حين التقيتُ جودوفسكي في المرة الأولى..
لم ألقه..
إلا في المرة الثانية.

* * *

صعبٌ أن تَكتب قصيدة..
لا تعرف بالذات قارئَها،
أو أن يقرأها مَنْ صار..
(يصيرُ لا يعرفكَ).!

Köln 3.4.2014

أحلامُنا المكعّبة

أنا وأصدقائي الشعراء والأطباء:
شاعر العمود، وشاعر النثر، وشاعر التفعيلة،
وطبيب الأمراض النفسية، وطبيب الباثولوجيا الإكلينيكية، والجرّاح،
وأشباح الموتى الأحياء التي واظبت أعوامًا حضور جلساتنا الأسبوعية:
شبح بيتهوفن، وشبح سومرست موم، وشبح ابن عربي،
كلنا تقدم بنا العمر،
ولم نعد نهتم بأسلوب وجودنا،
كل منا توقف عن تشذيب حشائشه الروحية،
ومنا من لم يعد يفتح صندوق وارده لسنوات،
ومنا من صار يكتب كآلة كاتبة،
-على رأي أمل دنقل-
ومنا من صارت عيناه لا ترتفعان إلى السماء،
لكننا كلنا صارت أعيننا شفافة،
برطمانات فورمول تتجمد فيها بروتينات الأشياء،
وكلنا صارت قلوبنا مقفولة،
نعبئ فيها الأحلام تعبئة،
لتأخذ شكلها،
مثلما يصنع اليابانيون البطيخ المكعّب.

صرنا واقعيين كحجارةٍ تحدُثُ.
وصرنا أصحاءَ دون بارانويا المثقفين،
وأخيارًا دون تعاليهم،
ومؤمنين بلا ادعاء نبواتهم.
صرنا متزوجين،
منا من تزوج في الحقيقة والتزَمَ،
ومنا من تزوج في الخيال والتزمَ أيضًا!!
ومنا من تزوج وهو واحد، وانفصل وهو نِصْف.
واحد كان صوفيًا..
وانتهى به الحال وهو يعمل مع البوليس!
واحد صار شاعرًا..
بعد أن كان شاعرًا!!
واحد صار يكسب جيدًا من كتابته..
في الوقت الذي يقول فيه أن "الكتابة نمط من أنماط الوجود البشري"
فهل للوجود البشري ثمن؟
أو هل يستحق أحد أنماطه ثمنًا أكثر مثلاً؟!
ما هذه الأشياء التي تحدث؟!
وكيف تبدد الدفء القاهريّ العزيز بين عابدين وأكتوبر،
وكولونيا وإسِن Essen،
والولايات المتحدة؟
....
سأشرب كثيرًا في صحّتكم يا أصدقاء،
وسأملأ الغليون حتى التخمة من التبغ الإنجليزي ذي النكهة المعقّدة،
-أعدكم-

حتى أكون أولَ شعاع..
يفارقنا..
إلى الأرض كي ينطفئ،
وإلى السماء،
كي يحمل دفئًا ضئيلاً جدًا،
جدًا جدًا،
إلى نجمٍ قصيٍّ جدًا،
ليعرف ساكنوه أننا قد كنا هنا يومًا:
الأطباء والشعراء،
أصدقائي وأنا.

Köln 2.7.2014

الثالثة والثلاثون

في الثالثة والثلاثين وثلاثة أشهر..
أحاولُ تذكّرَ كيف كان يبدأ يومي في (السيدة زينب)،
وكيف تنشأ من العدم ضوضاء الصبْح:
ناقوس الشاي بالحليب الذي يدقّ،
والساعة التي تعلن العاشرة، أو الحادية عشرة،
وصياح طفل أو اثنين في الحارة،
وصوت مذيعة الراديو،
وخرفشات الأرانب ربيبة جدتي،
وأنا أنهض من رحمٍ خشنٍ بنيّ اللون،
مزخرفٍ بالشمس،
وليدًا لديه من الزمن ثماني سنوات.

* * *

في العشرين
–وبأسلوب بدء الحركة الثانية من تاسعة بيتهوفن–
يتآلف رنين ملعقة الشاي،
مع دقات الساعة،

مع الصياح والصوت..
وتصحبه الخرفشة..
ويتعالى كل ذلك إلى ذروة،
ثم ينفجر رقصةً.
في العشرين تعلمتُ البكاء كرد فعل أوّلي على ما لا أفهمه،
لكنه يهدمني.

* * *

في الثلاثين تعلمتُ كيف يكون الإنسان شِطرًا
-على طريقة إيتالو كالفينو-
أو كيف يكون خاويًا من المركز
-على طريقة دريدا-
وقررتُ الفرار.

* * *

في الثالثة والثلاثين أنام كثيرًا،
كثيرًا جدًا بفعل المنوّم،
الذي قالت لي (فاطمة) : "لا تعتمد عليه وإلا صرتَ خالدًا"
لكنني أدمنتُ انسحاب الوعي الذي يعذبني،
وصرت أحلم كثيرًا جدًا بفعل مضاد الاكتئاب،
أحلم بأن أبي لم يزل حيًا،
ولم يزل مريضًا،

وأن قدمي المكسورة تؤلمني،
وأنني أخجل من ألا أحمله حملاً رغم الحطام،
حطامي، وحطامه،
عَظْمَةٌ منكسرة تحمل عظْمةً مُسَرْطَنَةً.
أنظر لأمي في رعب،
ولا أعرف ماذا أقول..
أقول أن هذا حلم،
حلم..
...
وأفتحُ عينيّ فجأة، وأنظر عبر الظلام بين النافذة والدولاب،
وأقول:
"أنا في أوروبا،
في أوروبا،
وهو في الأرض!"

* * *

في الثالثة والثلاثين تعلمتُ الرحيلَ،
والوحدةَ،
وانقطاعَ الأحبّة.
#

Köln 22.6.2015

صلي.. قلي

كريمۖ ٱلصياد

.

.

.

.

.

.

.

.

.

.

.

.

.

.

كريمۗ ٱلصياد

Köln 17.3.2015

المقبرة الغربية
Westfriedhof

أعلنتْ إذاعة القطار أنها قد ظهرتْ:
"**المقبرة الغربية** Westfriedhof"،
فخرجتُ واجمًا،
وفي جيبي كنزٌ صغيرٌ.

* * *

أعلنتُ ميثاقَ الرحيل بالإقامةِ،
وخطوت نحو مقامي،
وفي صدري دماءٌ بلا فؤادٍ،
ولا وتين.

* * *

بحثتُ عن الرجلِ،
فوجدته ساجًا في ضباب،
ينظر لي،
كأنما ينتظرني،

وهو لا يعرفني،
وأنا لا أعرفه!
فخطوتُ إليه،
وفي خطوتي شكٌّ،
ومن خلفي عالَمٌ يموت.

* * *

قلت:
"امنحني قبرًا أزرْهُ.
ليس لي موتَى هنا.
حتى الموتى ليسوا لي!
أريد قبرًا في عالمكَ السفليّ،
أعود منه إلى الأحياء،
وتكتمل به دورة حياتي"
فابتسم كأرض تنشقّ،
وفتح لي كفه،
وقال:
"الموتى عُملة القبورِ"

* * *

كان معي ميّتي:
(صورة أبي بعد أن صار يرتدي المنظار الطبي منذ عام 1996)

منحته إياها،
وأنا أتأمل آخر إنسان يراها قبل أن تغيب.
حفر الأرضَ،
وأرقدها في بطنها،
وثبت عليها شاهدًا بحجم اليد.
وحين انتهى وقف يتلو صلاةً ما،
وعاد يقول في حرج:
"أنت تعرف كلام السكان المحليين..
أن المدفونات هنا تعود.. وهذه الأشياء..
أؤكد لك أنها خرافات العجائز.
لا أحد بعد أن رآني..
لا أحد يعود."

* * *

كانت المقبرة تمتد على أرض منخفضة.
تلتف على أطرافها الأشجار العتيقة،
الحية، والتي ماتت واقفة.
وتبرق أعشابها ببساط من ثلج.
بينما تتلوى في ساحاتها أشجار عاريات في عذابات.
وحولها تناثرت الشواهد السوداء كجمهور عابس،
صعب الإرضاء.
انتفخ الصمتُ في أذنيّ،
كاد ينفجر،

وفي صدري أنفاس الأعشاب والطين،
وطيب الحنوط،
وصدور التوابيت.
كانت التربة حولي دسمة،
تكونتْ من عِظام كل شيء كالذاكرة.
سمعني الرجل، فقال:
"كل العالَم ذاكرة،
نحن ذكريات الله.
نحن حدثنا منذ الأزل، وانتهينا.
كل ما تراه إسقاطات رباعية الأبعاد لذاكرة الله.
وحين تموت ذكرياتنا ننساها،
وحين نموت..
ينسانا الله!
لا تبكِ أيها الشاب.
لا تبكِ كلَّ ساعتين مرةً.
قد نسي الله أباكَ،
وبقي أن تنساه.
الموتى معلقون بين نسيان الله ونسيان البشر.
انسه لينعم بالسلام،
حتى يأتيك النسيان الأعظم..
أنت.. أيضًا.."

* * *

ليس شيء أتمناه اليوم يا أبي..
سوى أن أكون قد ورثتُ منكَ بذورَ ذاتِ الموتِ.
أتمنى فقط هذا الميراثَ.
بإخلاص/
..

* * *

انغلقت القبورُ،
وجاءت القطاراتُ.
#

Köln 18.3.2015

VI

حَوليّات الجرعاتِ الزائدة

في البدء كان الوعي،
ولم يكن معه شيء.
في البدء تمدد الوعي،
كالكون،
وانعكس على ذاته،
فوعى بعضُه بعضَه كالأشياء،
ثم وعى تلك الأشياءَ،
وقطع جذورها،
فصارت مخلوقاتٍ،
وصار الوعي عقلاً،
وتوهَّم الضوء.
وتوهم انشطاراته،
لعقول تحتاج اللغة،
كي تتصل بالأصل.
ثم صار الوعي عذابًا لذاته.
صار يكسب الأشياء التي خلقها،
ويفقد.
ومع كل كسب كان يتحول إلى شكل،
ومع كل فقدٍ ينمسخ.
وصار يقرب النسيان،

يعاقر النسيان،
يدمن النسيان.
وكان النسيان أحيانًا قاتلاً،
وكان يَسبُكُ الأيامَ،
والأحلام.

* * *

2013: (طبق فاكهة)

كنتُ اكتسبتُ امرأةً،
حتى صارت نِصفًا في جسدي،
لا يجرؤ جرّاحٌ على بتره،
حتى حفاظًا على حياتي.
وحين فقدتها انمسختُ بعيدًا،
في كل اتجاه.
مشيت شهورًا أبحث عن مركز ذاتي،
وحين كنت أظن أنني وصلتُ،
يكون الفرق دائمًا لحظة.
وحين أهداني صديقي المصري الجوهرة الخضراء،
رأيت فيها وعدًا بالنسيان.
وتسرب نورها إلى عقلي..
فصار الزمن تلسكوبيًا،
كل لحظاته تحتوي لحظات.
وصارت تزورني كل أنواع التآلفات.
وصار العالَم طبقَ فاكهة،
كلوحات (جوجان)،
وصارت أربع شموس، أو ست،
بعدد جدران المكان.
كلها تتسرب عبر الحيطان.
كان الوجود مشرقًا،
إشراقةَ طلاءِ جديد لذبابة التصقتْ به.

أعرف أنني أموت،
لكنني لا أملك إلا أن أستسلم للسِّحْر،
وتعامداتِ الأنوار.
وفجأة..
اصطفت اللحظات كالمسبحة،
وصارت لوحات (جوجان) مجمرةَ رمادٍ،
واتحدت الشموس،
وانفكت الأنوار..
فانمسختُ على مسخي،
لكنني..
أدمنتُ النسيان.

* * *

2014: (عالَمٌ مِن شوبرت)

كنت أنمسخ،

حتى أكاد أنقسم.

كنت أفقد وطنًا يَرحَل عني بُعدَ الذكريات.

سألت صديقي الألماني عن طعم النسيان،

فمنحني الجوهرة الحمراء.

وحين انطبع تصميمها في عقلي،

بدأت أرى (السيمفونية الناقصة)،

وأمشي على ما تفضه الكونترباصات من أرضٍ،

وأشم عطور حدائقها،

وأخترع حبيباتٍ،

لهن أجساد،

وماضٍ يردن نسيانَه،

ومقطوعات مفضلة،

وفساتين تُلبَس لأول مرة،

أراقصهن على عالَم من شوبرت.

كان العالم رقيقًا،

جديدًا،

رهيبًا،

وكنت رائده الوحيد،

(كجحارين) حين وصل إلى الفضاء لأول مرة،

ووجد نفسه في الكون..!

كنت أنا أيضًا هناك،

لكنني وجدتني أسقط،
بجاذبية لا تشد الأجسام، وتُسقِط العقول.
وحين هوى عقلي، حملني جسدي إلى المشفَى،
ورآني الجميع وأنا أنمسخ داخل مسخي،
لكنني..
أدمنتُ النسيان!

* * *

2015: (العالَم على حقيقته)

كنت أنمسخ،
حتى أنشطر كالأنوية،
وأنا أفقد مَن علمني القراءة والكتابة،
وصيد السمك،
وألعاب الفيديو البدائية،
وكان يأخذ قلبي الطفل معه،
كل صباح،
إلى معسكرات تدريب الجيش.
فبكيتُ..
وحين رأتني صديقتي الألمانية،
أهدت لي الجوهرة البيضاء.
كانت براقة إلى حد صنع هالة من العتمة حولها، كالقطيفة،
وحين انتشر ظلها إلى صدري،
انسحب العالم مني،
كالخيوط من النسيج.
ووجدتني فقط..
أنسحب مني، مراتٍ لا نهائيةً..
وأقول:
(الأكباد التي لم يأكلها الرخ.. حرقها الكحول)
(فأديرا عليّ الأبديةَ في دوائرَ عدةَ مراتٍ حتى أحفظها)
(صلي.. قلي.. صلي.. قلي..)
(ما يعصم من الوحدة، لا يعصم من الفراق)

(سبحان المفقود! سبحان المفقود! سبحان المفقود!)
ثم ظهر العالَم على حقيقته:
أجزاء ميكانيكية دقيقة متراكبة،
كصفائح الحشرات،
ومنها تنفصل قِطَعٌ طائرة، كأجزاء اللغز،
وتعود إلى مواضعها،
وعلى الأرض حقول من عذراوات، تغتصبهن مخلوقات ضخمة مجهولة.
بينما أُمسك بقلبي في يدي،
وأهزه كالساعة، ولا يدقّ.
لم يكن النسيان حلمًا،
لم يكن النسيان.
ثم أغمض الكون جفنيه..
وفي الصباح، كان الطبيب يجلس معي،
ويقول أن النسيان خطِر.
وأن المرة القادمة ستكون الأخيرة.
وأراني رسم قلبي المتوقف.
فسألته أين صديقتي؟
فقال لم نر إلا فتاة ألمانية،
جاءت بك مع أصدقائها،
وقالوا أنهم وجدوكَ في الشارع!
فانمسختُ أمام مسخي،
وتشهّيتُ النسيان.

* * *

في البدء كان الوعي إلهًا،
وكان الشيطانَ النسيانُ.
رأى الإله نفسه إلهًا،
ولم يرَ نسيانًا نسيانٌ.
وكنت أكافح كي أنسى النسيانَ،
وفي كفاحي.. أستعين بالنسيان!
#

Köln 19.3.2015

VII

آلهة

إنعاشُ القُدامَى

ذهبتُ طويلاً إلى الأرض القديمة، أستنطق المكان بأبعاده العشرة عن آلهة بائدة. هل مات هنا إله؟ أسأل غير الأحياء عن موت الخالدين. هل سال دمٌ سماويّ؟ هل نبتت من جثة لاهوتية هذه الأشجار؟ هل انشقت تلك الأحجار وانفرطتْ من جسم هائل؟ نظرتُ في عيون البشَر، أبحث عن ذنب مهول، عن قاتلٍ-نبيٍّ، يعترف بما فعل أو يتهم غيره. ورقرقْتُ النهرَ بين أصابعي، علّ رفاتًا أوْ رمادًا يترسب بها مما وراء العالَم. حتى الأشجار جلدْتُها، وقشرت عنها لحاءها. هل أنتن أرامل الهائلين؟ هل لمستْ جذوركن قبرًا في حضيضٍ؟ سألتُ وعذّبت واستمعت، ولم أجد المكان إلا ليقشعرّ.

.

دخلتُ المعابد، واستمعتُ لهمس النقوش. لا أقرؤها ولكن أستعيد ألم الحجارة. ألمسها كالأعمى، وكل الذاهبين في الأرض عُميان. أضغطها بجسمي العاري لتنطبع نقوشُها أوشامًا ومخطوطات وجِلْدًا مُعَذَّبًا. وأغمض عينيّ مُوَشِّحًا ما التف من نقوش على جلدي بحروق الصلوات التي تتقوقع في أذني. أصير مَعبدًا حيًا مهجورًا. وأمشي على الأرض الخرساء بثقل الميراث. ولم أجد معبدًا إلا وأنبت في جسمي. ولم أجد عن الزمن القديم ناطقين.

.

أشعلتُ النار بكأسي، وتجرعته حتى تقيأتُ اللهبَ. سألت النار – وهي أقدم الكائنات– عن ظلال مشت في الأرض في أول العُمر. كانت النار تتجهّم ولا تجيب. كانت الجمرات تبرق ثم تغيب كطرف الجفون. تنظر لي في خشية من ذاك المنقِّب في الحقائق الحرام. أكلت النارُ كلَّ مدنِّسٍ وعافت مذاقي. اتّحدْتُ بالنار، فهاجرتْ من لحمي شظايا وضوءًا. عذّبتُها بالثلج. أرسلتُها في جحيم بارد. قطّعتُ أوصالها كهَاربَ وأشعةً. جوّعتُها أيامًا، وحرمتُها من الانطفاء، فلم أعرف شعلةً إلا لعنتني في كل اندلاع، ولم أسمع انفجارًا إلا صامتًا عن الحق القديم.

.

تزوجتُ البحرَ، وضاجعتُها سنواتٍ، واستولدتُها الكائنات القشرية الشوهاء. قيدتُها على الصخور، ودخلتُها كل ليلة عدة أعوام، وبطنها تحبل وتنفجر بماخرات الموج وكاسراته. عايرتُها بأبنائها وبناتها. فتحتُ كل محارة بيتًا للدعارة. أكلتُ أسماكها نيئة، وقبضتُ على عنق أخطبوطها وحبارها بيد عارية. ربطتُ ثعبانها عُقَدًا. شربت ماءها الأملح. جعلتها سافلةً وشهّرت بها في العوالم. سجّلتُ لها وشيشَ موج المضاجعة، وصوّرتها وهي تخون الشمس والقمر، فلم أعرف موجةً إلا وكانت في الجاهلين.

.

أين الآلهة الصرعي؟ إنّ الآلهة لَفِي جحيم!

.

وقفتُ وتأملتُ المكانَ. أدركتُه سطحًا وعمقًا. حركتُ فيه يدي بحثًا عن أبعاد منطمرة لا في عمق، ولا في بعيد. محوت من لغتي الارتفاع والقُرب، واستبقيت فقط (هنا) و(هناك) دون مسافة أو اتجاه،

فانفتحتْ لي فيه عَشر طبقات، لا يصفها الجسمُ ولا الفراغ، والتمع في أعمقها لهب قديم، هو سلف النار وجذر شجرتها. يترقرق في مشعل لم يصغه بشَر، على قبة قبر في عالم ناءٍ، لا يحوي سواه.

.

مددت ذراعي في دوامة المكان، ونقّبتُ فيه عن رفات حجرية اختلطتْ بمعادن السلاسل، التي لم يصنعها إنسان، واندفنتْ تحت خوذات التعذيب، وخناجر الجِبال، وبراكين القروح، وهياكل الأفعوان، والرخ، وأُمَم كائنات العذاب. أخرجتُ الرفات ورصصته على الرفوف. كل حجرٍ عضو إله. وأنا عامل ترميم الآلهة الوثنية.

.

فارتفعتْ ببيتي وحديقتي التماثيل. وشاعت في المدينة أساطير العماليق، التي تتحرك في الليل، وتزداد حجمًا وصُلبًا في نشوة العائدين.

.

وكانت أشياء نراها، لم يرها أحدٌ!

#

Köln 31.1.2015

المُتَّسَــق

‖ ‖

كأسٌ هو العدم
في بار الكون، الذي يخدم فيه (ماكس بلانك).
إلهٌ يصبّ الماء الذي ترف عليه روحه.
وآخَر يصب الأنطولوجيا الذهبية.
وآخَر يصب الكلمة.
وآخَر يصب الطين والإنسان.
وأنا –في شُرْبِي الوحيد في نهاية كل أسبوع من أسابيع الكون–
أجلس على كرسيّ الدوّار أمام البار.
وأنادي بلانك.
فيهرول مبتسمًا، وزجاجة العدم المعتَّق تسقط، وتتهشم.
كل مرّة تسقط وتتهشم.
كفيلم من مشهد واحد متكرر.
فتتناثر على ثيابي القطرات التي ترف عليها روح الله، والأنطولوجيا الفائرة، والكلمات، والطمي اللزج، وعناقيد الخلايا الجذعية التي تتجمع ككرم بألوان زاهية.
أُصبح حقلاً مستباحًا للتخليق.
أرتدي معطفي –رغم دفء الداخل– لأستر سرطاناتي، وهي تطلع وتدخل في لحمي في مرحٍ.

وأغطي جانب وجهي بقبعتي، كي لا يراني إله منهم، فيتشاجر معي. فالكل يعرف سلوك الآلهة السكارى في حانات ألمانيا، التي لا تذيع مباريات كأس العالم.

* * *

≠

كأسٌ هي السحابة.
والأشجار سَكْرَى.
والطحلبُ، والعشبُ، وأعلام ألمانيا، وإيطاليا، واليونان، والبرتغال، والبرازيل، النابتة على الشرفات والسيارات، زاهيات، وبلا رائحة.
والرعد- الخادم غير المنظور- عجوزٌ مرهَقٌ.
والملائكة راقصات شفيفات لا يراهن الزبائن.
أخرُج في (التِّراس) الشاسع لأملأ الغليون بتبغ الذاكرة.
وأرسل السحابات إلى أعلى.
إلى أعلى..
أطقُمَ كؤوس، تحل مكان ما يتكسر من كؤوس السماء.
أرسِل كأسًا إلى إله.
وأقول: بروست Prost !
أو: سالوت Salut!
أو: نازداروفيا Nasdarovia!
أسمع صدام الكأسين السحابيين، كانتفاش صوف على صوف.

ويرد الإله بهمهمة رعدية غير مفهومة، (رغم أنني هنا أسمع الرعد أكثر مما أسمع الألمانية).
أرفع راحتيّ وأصرخ، أرعِد دون برق.
ثم أجلس كأن لم يحدث شيء.
فالكل يعرف سلوك الآلهة، التي لا تفهم للرعد سوى لهجة وحيدة، في سموات أوروبا التي لا تنقل مباريات كأس العوالم.

* * *

∅

كأسٌ هو قلبي.
ودمي مقطَّرُ نخاعي.
وأنا لا زلت أشرب وحدي.
أشعل سيجارًا من تبغ المكان، وورق الزمان، ونار الرحيل.
وأستمع إلى فريق The Shadows الستيني.
أرفع في الفراغ دون أيدٍ تآلفاتهم الثلاثية الناقصة.
وأركّب في الهواء وجه حبيبتي وجسمها.
وجهها الطفليّ، وجسمها الذي ينشق كصفحة النهر، ويلتئم.
وأغني لها الموسيقى.
وأركّب وجوه أصدقائي الأوروبيين.
وهم يسألونني: أين تعلمتَ التآلفات؟
وأجيبهم: تعلمتها في مصر، في أسوأ الظروف.

في حجرة بها بيانو واحد، ونافذة واحدة، وأطنان من الدخان والتراب والعنكبوت.
لقد تعلمت الكثير في مصر.
تعلمت نظرية الموسيقى، وأوزان الشعر، والنقد الأدبي، والفلسفة.
تعلمت أنني نصف ابن آدم.
تعلمت أن الله ينفَد من المكان.
وأن المكان هو الذي يبقى بعد أن يجف الزمان، في شمس القاهرة الصارخة في الواحدة ظهرًا.
وأنا لا زلت أشرب وحدي.
فالكل يعرف سلوك الآلهة، التي تفضل الندماء الذين يتابعون مباريات كأس الأفئدة.

* * *

± (أو: مقابلة شخصية مع إله)

جلسنا في قاعة الانتظار.
كان صديقي السلوفاكي الملحد (مارتن) يجيد الهولندية والبزنس، ويأمل في الحصول على منصب إداري هام في السماء.
بينما كان صديقي السويسري الكاثوليكي (فرانشسكو) يجيد مغازلة الفتيات، ويتمنى لو كانت هناك إلهة في هيئة المقابلة.
صديقتي الروسية الماجنة (داشا) كانت أرثوذكسية ملتزمة، وتلعب بأصابعها أمام شفاهها في حركات قليلة الأدب، حتى صارت تقلدها حبيبتي. وكانت تقول أن المسيح مذكر، وهذه وظيفة مضمونة.

وكنت أنا آمل -لميلي للهندوسية- أن أكون إلهًا ما، أي إله والسلام، مثلما كانت إلهة الموت في الأوبانيشاد قبل تألهها بشرية.
دخلت داشا، ثم مارتن، ثم فرانشسكو، ولم يخرجوا.
وحين دخلتُ مجلسَ الآلهة نظروا لي في رتابة وإرهاق الروتين الإلهي الشهير، وسألوني:
-هل قرأت الكتاب المقدس، والقرآن، والأفستا؟
رددت:
-نعم، وقرأت الأوبانيشاد، و(كفاحي)، و(فلسفة الثورة)، و(الكينونة والزمان)، و...
-ماذا تعرف عن لوكي؟
-أَعرِفُني.
-آها.
تثاءب كبيرهم، وابتسم، وقال أنني أناسب وظيفة في (العلاقات العامة)، ثم ابتسم، ثم تثاءب.
الكل يعرف مَلل الآلهة من نِحَل الإداريات في مواسم كأس الملكوت والجحيم.

* * *

≤ (أو: إدارة العلاقات العامة)

ظننت أن المكتب أنيق، ومليء بالزهور واللوحات، ويطل على كاتدرائية كولونيا.
ظننت أن معي غيري من المستوظَفين.

لم أجد سوى مقعد واحد في الفراغ.
وحين استويتُ، رأيت العلاقات العامة:
اللزوم
النفي
الانتماء
الاحتواء
التضايف
الجهة
الكم
الكيف
الاقتضاء
الحياد
الجوهرية
العرضية
المكان
الزمان
التساوي
التكافؤ
التطابق
التعادل
التناسب
السيمترية
التقاطع
التوازي

التتابع
التتالي
التناهي
الترادف
التقابل
التضاد
الاشتراك
الازدواج
التراتب
التجاور
التناثر
التلازم
التناقض
الاتساق
....
أحببتُ عملي.
فكرتُ، وفكرتُ..
وفكرتُ، وفكرتُ..
وفكرتُ، إلى أن تجاوز الزمانُ السادسةَ.
حملت العلاقات التي صارت عنقودًا طويلاً، يتدلى على الأرض،
ويخدش السجاد، أو يصرّ على الأرضية، كالسلك الشائك.
أعطيت العنقود للموظف الذي يأخذ العنقود.
أخذَه وأغلق الباب.
وشممت رائحة طهي.

خرجتُ لآكل في أحد المطاعم، التي تقدم البيتزا للآلهة، التي لا تحب مشاهدة كأس العالم.

* * *

∞ (أو: طهيُ السلاسل)

في اليوم التالي ابتسم لي سكرتير الآلهة.

وابتسم الآلهة.

قالوا أنني توصلتُ إلى (المُتَّسَق).

هذا السلك الذي أعطيته للموظف الذي يأخذ العنقود.

قالوا لي أنْ اذهبْ إليه كي تأخذ فكرة عن بقية خطوات العمل.

طرقت باب الموظف الذي يأخذ العنقود، فتصنع معي الانبساطية، وتبادلنا الكلام عن الطقس السيئ في ألمانيا.

قال لي: جئتَ في موعدك، فقد أوشك طهي السلسلة أن يتم.

وأراني من النافذة سهلاً بلا نهاية، تُطهَى فيه سلسلة كونية على نار بركان.

إنها العنقود الذي أعطيته للموظف الذي يأخذ العنقود.

سلسلة على تصميم المتسَق.

كان بروميثيوس ينتظرها في يأس.

هو ولوكي وست وشيفا وهتلر وغيرهم من الآلهة المكسورة.

إنني صانع (المتَّسَق).

مصممُ السلاسل.

!!

ابتسم الموظف الذي يأخذ العنقود وسألني: هل تتابع كأس العالم؟

* * *

( )-

ولهذا يعتصر الحزنُ قلبي.
حين أرى عيون حبيبتي الجميلة.
وأبكي.
حين أسمع ضحكة حبيبتي الجميلة.
ولهذا أشرب وحدي.
ولا أشاهد كأس العالم.
لأنني أعلم أنّ فريقي لن يفوز.
* * *

Köln 29.6.2014

أوتوإيل
Auto'il

إلى قاع الاستيجما في جبهة جمجمة الأرض أنزلق. لا تحدني طبقات التأشيرات وجوازات السفر والتذاكر، ولا تشدني أصابع المواد السوداء الطافية كالريم في الأكوان المتوازية. تكاد قدمي أن تزل على الجليد الشمالي لأهوي في الفضاء. لا أتمسك بشيء لا أخافه. مرت عليّ أزمنةٌ كثيرة مركّزة. طعنتْني في عمري، وترسّبت في مفاصلي، حتى نسيت أسباب خوفي. صرت أخاف بلا سبب، ويحدُث لي السبب بلا خوف.

Düsseldorf, 24.10.2014

الألوان الخريفية تندلع في ثياب الشجر المنخلعة. بيني وبينها الزجاج المزدوَج. أمد يدي إلى الزجاج، ويقطف انعكاسي صورة الشجرة. تتألم الصورة، وتبرق، وينتشر فيها الشجر أمامي كلما انطلقتُ كالمِكان. الحطابون السفاحون يجمعون الحطب القتيل، ويرصّونه هَرَمًا، والشجر يُعرض ويُشيح. تطأ المدينة بحذائها الأسفلتي وجهَ الغابةِ المروَّضة، فتتهدل وتشيخ. ومن غابة الأشجار إلى دغل الملاط والسيراميك والماكينات البشرية وغير البشرية. تلمع وتدور في كبرياء. تتحدث في

صمت بلغة العلامات الإرشادية. ويدوي من مكبرات الصوت رعدُ الألمانية البارد. والآلات توقد مصابيحها وتطفئها في احتفال أخرس مخيف بشتاء البشرية. يطاردني انطباع مشهد كاتدرائية كولونيا في الهواء، ولا يلحق بي في القطار المنقذف. والقطارات تجلد ظهر الأرض، وتتعاشق مع الأبنية الإسمنتية، وحقول توليد الطاقة، وأعمدة الإنارة، وماكينات قطع التذاكر، والمداخن، وقواعد اللغة المتَرَّسَة، ووجوه البشر المركَّبة. تتطور آلة كبرى تربط الأرض بالقضبان الحديدية، وتحقن السماء بالدخان. وتنقسم سرطانات الخلايا الشمسية لترتفع بدلاً من الأكف وأبراج الكنائس. الآلة تزأر، وتخدش وجه السماء بالطائرات، ثم تهدر دون نهاية.

Frankfurt, 24.10.2104

ذلك الشعب من الناس الخضراء والناس الحمراء، الذي يسكن إشارات المرور، سوف يقرر عبور الطرق وغزو المدن. والإشارات العوراء التي لا تطرف، والتي تحكم حركة البشر المعلبين، سوف تُشفى من شللها الكلّي.

الأبخرة، أجنّة السحب، تتصاعد من مصافي الطريق وبالوعاته، لتلتحم برحم الغيوم الثقيلة. ومن الفضاء تهبط أصوات خطى إله الشمال: سيبليوس، وأصداء رقصات جريك السيمفونية. كل ماء يتجمع في سماء ويهبط موسيقى.

لم تزل الآثار تؤرخ محاولات البشر احتلال السماء، أبراج المراصد، والقلاعِ، والقصورِ، لم تزل تطعن السماء، ولم تزل السماء تتألم في أبدية عزيزة.

اسم الله لم يزل على الكتاب المقدس، وصورة الملكة لم تزل على الكورونا. الله في السماء، والملكة في قصرها، إلهًا لا يَعتني، وملكة لا تحكم، رمزًا للكون، ورمزًا للدولة. الوزراء يحكمون كل شيء في كونٍ دستوريٍّ.

تنقشع سحب التبغ والذكريات وهلاوس الكحول عن وجه صديق الليلة الواحدة، وهو يقول في إحباط طيب: "إن أرضنا مبططة، وكان من السهل على الألمان احتلالها".

* * *

الشمس تنسرب إلى شوارع كوبنهاجن، والظلال تولَد. الظلال التي تأملها أندرسن وهو يكتب "الظل". الظل مزارٌ سياحي في الدانمارك.

.

أوراق شجر ميتة تعبر الطريق. ونخلة لا تستطيع عبور الزجاج، ولا تفهمه، فتموت. فحتّامَ يعبر البشر وهم أحياء؟

.

وحين يفني العالَم ستبقى فقط ظلال كل شيء، بلا شيء، وأضواء شموس، بلا شموس. فقط الضوء سينطلق مزخرفًا بالظل، إلى الأبد.

Kopenhagen, 25.10.2104

* * *

سماء منهزمة، وأرض منهزمة، متواضعتان، تحنان إلى بعضهما حنين من عادا من حرب واحدة رفيقي قتال خاسرَين. نحن أيضًا كذلك، يا حبيبتي.

* * *

الكحول عملة المشاعر الموحَّدة.
والدخان قومية الأصدقاء.
والمطر نقدُ السماء الذي به الأرضَ تَشتري.

* * *

سأناديكِ حين أصل مهدَ النهضة الأوروبية،
لأرى عينيك مرة أخرى،
–العينين اللتين سافرتُ كي أراهما في أرض أخرى–
لنرقص طيلة الليل،
كل ليل.
إلى قطعةٍ منّي..
أُهدي قطعةً منّي.

* * *

سأحملكِ جنينًا..
إلى عاصمة الرعب.

وسأنسج من أهدابكِ الكونية..
تلفيحةً..
تقيني الأرق والبردَ والإنسان.

* * *

يا لكِ من أنثى التي أراها..
أرى المرأة لأول مرة،
ولغة أعرف الكلامَ،
وأنطق حروفًا غريبة مدغَمة،
حين أسمعها..
تحثني على قول: "ماما"!

* * *

هل أنا إله ملعونٌ،
أم طفل ينام على كتفك في خفّة؟
ستعرفين أنني اشتريتكِ بالعالَم،
حين ترينني في عالمٍ آخر.
....
بإخلاصٍ/
يا حبيبتي.

Kopenhagen, 25.10.2104

* * *

أدخنةٌ بطعم الصداقة والثورة.
أدخنةٌ.
أدخنةٌ.

* * *

أنتِ فوق الألم والعالَم،
فوق الألم والعالَم.
#

Kopenhagen, 25.10.2104

انفجار البلازما

1-هيدجر والعنكبوت: لكريم الصياد:

ياليأس هيدجر! الشاب الثلاثيني الطموح، الذي يشرئبّ ليلمس مخ أستاذه المحفوظ في جمجمته الشفيفة، الغارق في الغموض، الغافي منسيًا، منذ آلاف السنين، ككائن أسطوري، لا تحكيه خرافة، لا تحكيه طبيعة. "آه! إنه حفنة من الطاقة!".

لا يدري هيدجر أنه بعد سنوات معدودة سيتكلم لغةً هي جنين في جسد الألمانية، وأنه سيكتب الكينونة، وأنه سيخفق، ويعلو، إلى فوق، إلى فوق!

ها هي ألمانيا صارت جسدًا، والجسد صار هيدجر.

حين وصل الوحش إلى عرش جمهورية الحطام، وتحرك حلمه خارج جسمه كتنين، حين تمددت ألمانيا بقياسه، تراءى هيدجر في العيون كورم خطير، كسرطان وجودي، يحاول إضرام النار في ما تفتتَ مِن شيء.

لو كانت ألمانيا كوكبًا محترقًا لكفى بهيدجر عدمًا يبرد فيه جحيمها.

ها هو الجسد صار صرخة، والصرخة صارت فمًا فاغرًا لجمجمة بيضاء.

في عالمٍ ناءٍ قصيّ، في بعدٍ ممحوق، أقرب إلى نقش في الفضاء، معلقة حجرتي البيضاء الباردة، مظلمة في أغلب العصور، لا يمر عليها ضوء سوى مصباح أصفر ذابل على مكتب، ولم تنشأ بهذا البعد أحياء

سوى أنا، وهيدجر، والعنكبوت، الذي يكرس ديمومته لهندسة قصر الخيوط الشفافة في السقف بإخلاص. إنه وحيد كنبي، مبعَدٌ عن عالم يختلف عن عالمي. لا أعرف من أين جاء.
كل منا نشأ وتطور. لا توجد نظريات كثيرة عنّا، فنحن ننظّر كل منا لنفسه، وأحيانًا ننظّر–حين نمل المنظور الواحد–لبعضنا البعض.

ألمانيا

2014-5-27

2–النَّصّ والعقل: لهيدجر:

لا أراه، ولا تمكن رؤيته من بُعدي في (الكينونة والزمان) في تجسيمه. إنه يأتي ويذهب، تشرق معه شمس صناعية ما، يخطر متعشِّقًا في السطور والمقاطع والحروف حولي. يتعثّر أحيانًا في أجزائي القليلة اليونانية. إنني أوجَد في اللغة، وهو–فيما يبدو–عقلٌ ما. إنه يمرّر وجوده على وجودي ذي البعدين. هل يكوّن–في الفهم–قوالبَ لأعضائي الوجودية؟ وماذا يصنع بها؟ هل يعيد بناء هياكل مادية، أو شبه مادية، لهذه التراكيب؟ هل هو صيغة مثلي؟
إننا حين نبلور المسألة الأساسية لوجود هذا الكائن، الذي لا نعلم من صفاته سوى الفهم، وسوى أنه يعرفنا، فإننا نجد أنفسنا بإزاء سؤال خطير: هل نحن مجرد نصّ؟ وهل هو يقرؤنا؟؟؟
ولكن–حين يصل التباحث إلى مداه غير المنظور حاليًا–ينكشف لنا سؤال أبعد من ذلك، أبعد، وإنه لمن الحزن سؤله.... هل كنتُ يومًا جسدًا، أفكر، وأكتب، ثم تلاشيتُ، وبقي وجودي، كروحٍ حبيسةِ أليافِ هذا الورقِ، التي أبصر منها هذا الوجود؟

هل أنا نص؟ وهل كنت إنسيًا؟

هيدجر

من الكينونة والزمان —(دون تاريخية)

3–نظرية الكائن ذي البيت المعتم: للعنكبوت:

اليوم أجلس في شرفة قصري المفضلة. عجيبٌ أن يبدأ شيخ في مثل ما رحلت في الكآبة، ومثل ما أقمت في الوحدة، ومثل ما ذبذب بيتي من نبض الحزن، أن أكتب فلسفتي حول الطبيعة، حول كائن يتحرك حول أوراق.

إنه كائن بلا خيوط، ولا يحيا على أرض رأسية. ويمكنه أن يسقط. وحين تأملته لم أجد له بيتًا سوى هذه الأَرَضِينَ الرأسية والأفقية. إنه لا يبني بيتًا فصارت هذه الأرض بيته. إنه قديم بلا نشأة. وهو إذا كان بلا نشأة فهو بلا فناء. وإذا كان بلا نشأة أو فناء فهو دائم بلا تغيّر. وتدريجيًا أفهم أن حياته تلتف وتتداخل حول هذا الورق القابع تحت تلك الشمس التي يوقدها.

هل هو أوجدني يومًا؟ ولماذا إذًا لا يلاحظني؟ هل أوجدني ونسيني؟ أم هل أعرف عنه ما نسيته في شيخوختي، وما رحلت من كآبة، وما أقمت من وحدة، وما ذبذب بيتي من حزن؟

ما الذي يفعله أمام هذا الورق الذي لا يفرزه، والذي لا يعلم أحدٌ من أفرزه وقوّمه في تصميم حديث لم تعرفه العوالم من حيث جئتُ؟

العنكبوت - من القصر

ما بعد الشيخوخة

4–نداء الخيوط: لهيدجر:

إن وجودي الفريد، الذي ليس كمثله وجود؛ لأنه–ببساطة–ليس معه شيء، مسطّح في بعدين، لكنه كذلك متراكب في بعد ثالث، في طبقات كثيرة رقيقة.. وما هو كاشف لذاته بذاته أنه في كل لحظة واعية من لحظات الإدراك لما هو خارجه يتسطح في بعدين فحسب، لكنه حين ينعكس عليه إدراكه، طبقات كثيرة، لا أعرف عددها.

من خلال هذا الوجود الثنائي أرصد هذا الاحتمال: أن الوجود في أبعاد ثلاثة ممكن، وربما أمكنَ.

ما يجعلني أتحول من الإمكان إلى الحقيقة: ذلك العقل الذي يمر ويمسح وجودي، وينغرس أحيانًا في مفاصله، ولكن مع حركة هذا العقل أحيانًا أجد وجودًا أجنبيًا ثالثًا يتهاوى.. هل هي خطوط؟ بل هي في أبعاد ثلاثة.!

إنها خيوط رقيقة، لا وزن لها، تلتصق بوجودي، وتتحرك، لكن لم يفتني أنها تتحرك بنظام إيقاعي ما، وفي اتجاه واحد..

إنه كائن يتحرك على سطحي!!!!

هيدجر

من الكينونة والزمان

الحزن تاريخ

5–نظرية البيت الورقي: للعنكبوت:

أعرف أن في عالم الحشرات والمفصليات، من حيث جئت، يفرز البعض ورقًا كهذا ليسكن فيه. لكن هذا الكائن لا يبدو مثلها، كما أنه لا يسكنه، إنه يكتفي بتقليبه، وفضه، وغلقه، والطواف حوله.
إنه يلمسه، يدقق في كل تفاصيله، مثلما أفعل مع خيوطي، كيف يدقق كائن فيما لا يسكن؟ وكيف يسكن فيما لا يصنع؟
إنني منفيّ ووحيد في هذا البُعد؛ لأنني وضعت أملي في الرهبانية الحزينة.
إنني أول المنفيين الذين يحلمون بمنفى جديد، يتركون القصور، ويحلمون برحلة السقوط الأول في الهواء، دون خيوط، أو مصير.
إنني أُستشهَد الآن حين أهوي، حين ألمس هذا الورق الجاف، في سبيل حقيقة لن يعرفها أحد، ولن تهم أحدًا. فإن ظللت حيًا فأنا أول ساكني بيت الورق.
يا خالقي الذي نسيتني.. هل أقوم الآن بأكبر كُفر، إذ أسكن بيتك الذي لم تخلقه، ولم تسكنه، حين أرقص فيه رقصتي الماجنة الهمجية؟
ابعثني إن متُّ مخلوقًا أرقى، يسكن ما لا يصنع، ويدقق فيما لا يسكن، بإخلاص.

العنكبوت
من القصر
ما بعد الأمل

6–اللوجوس: لكريم الصياد:

رأيت الأرجل المفصلية البشعة على الحروف. لي شجاعة في تأمل البشاعة. كينونةٌ، وزمانٌ، وعنكبوت. إن سِفرًا لم يقتل أحدًا لن يقدر أن يحيي ورقة شجر.

إنه يستحق أن يوجَد.

إنه يستحق أن يناضِل.

إنه يستحق أن يدمينا، وينمو.

إنه يستحق أن ننتظر طلوعه من عامٍ لعامٍ.

في الثانية التي تَهلك، والثانية التي تولَد، استوصدَ باب الكينونة، وانهمر الزمان.

كان جسم العنكبوت منسحقًا على الحروف، مستشهَدًا يحمل لواء الكلمات: "الوجود"، "الظاهرة"، "الحقيقة" بالمفاصل المهشّمة، في استماتة بطولية، وحوله انفجرت البلازما في بقعة كئيبة، شفافة، بشعة، لزجة، تشوه الحروف، وتنزّ –كالعَرَق– من مسام الورق.

تركت الكتاب خائفًا مكتئبًا، ونمتُ دقائق في مقعدي، وحين استفقت لم أجد الكتاب.

وجدت هيدجر..

لكنه ليس هيدجر.

ها هي الكينونة صارت عنكبوتًا، والعنكبوت صار..

إن اللوجوس ليس –كما قال هيدجر– تفسيرًا لكائن.

إنه هو كائن.

مخيف.. مخيف!

ألمانيا 28-5-2014

كَسْرَةُ البَرَامِثَة

نحن سارقو النار من (تحرير المدينة).
نحن من منحناها قداحاتٍ وكبريتًا لربات البيوت،
فأبين أن يشعلنها،
والتففن حول شيوخ زيوس،
وقنواته الفضائية.
نحن الخاسرون أكبادنا في مظاهرات الخبز والحرية.
نحن جيل من الآلهة المكسورة،
التي ترمم حطامها في طَرْطاروس الثورة.
نحن الذين كرهنا آباءنا؛ لأنهم ولدونا،
ولأنهم عبدوا قاتلينا.
نحن آلهة الغسَق،
حين تغرب الشمس في غيمة القنابل الدخانية.
نحن آلهة الليل،
حين يطفئ الآلهة المنتصرون محطات الكهرباء.
نحن آلهة الرماد،
في شَعْب الجثث المحترقة.
نحن آلهة العدم،
حين يخلق المنتصرون عالمهم الجديد.
نحن آلهة المشارح والسجون،
والمنفى والمهجَر،

والاكتئاب البطولي المخيف.
نحن الشياطين،
حين يفرض المنتصرون مذاهب الواحدية،
والذين يتعوذ الناس منهم،
ويهتفون للرخ العابس على علم الدولة،
وعلى أكتاف الجنرالات،
ونحن معلَّقون، إلهًا، إلهًا،
بين السلام الوطني،
وتحية التمام.
وها نحن نوقَف في الشوارع،
ونفتَّش في المقاهي،
بحثًا عن حيازة الثورة وتعاطيها.
ونرنو في حنين، إلى جبل الأولمب المحترق القديم قرب الميدان؛
فبعد أن عرفنا النارَ،
أدمناها،
وصرنا لا نحلم عنها.
نحن قتلَى أعراض انسحاب الثورة.
نحن الذين عشنا الأبد في لحظة،
والعالَمُ.. طلقةُ الإعدام.

* * *

اختاروا لإخوتي المحارق والزنازين،
واختاروا لي الزمهرير والفضاء.

اختاروا لهم العذاب الجماعيَّ،
والإعدام الجماعيَّ،
والمقبرة الجماعيةَ،
واختاروا لي الوحدة،
فلم يكونوا عادلين!

* * *

آلهة الدمار التي تخطو على بيوت البشَر في العراق والشام،
وتحارب آلهةَ الشر في مصر،
وأودين الذي يبسط سماءه على أرض الغرب،
هؤلاء لا يكرهون الناس.
هؤلاء لا يمقتون فانيًا أو خالدًا،
مثلما مقتوا آلهةً مثلهم لم تحتقر الإنسان.
لو أننا استعبدنا الناس لتركونا أحرارًا.
ويلٌ لإله..
يتنازل عن القهر المقدس.
ذلك يَلقَى هاويةً يبعد قاعها
بارتفاع السماء عن رءوس البشر.

وها نحن في النهاية..
كفر بنا الناس،
وصرنا العدو رقم واحد للاهوت الحديث.
* * *

نحن لن ينجينا سوى أن يؤمن بنا واحد من الناس، ليس كأحدهم.
هذا الذي يحطم السلاسلَ،
ويفتح القبور، وأدراجَ المشارحِ،
ويُطلق الآلهة الملعونين،
ويغفر لهم.
لأنه مكتوبٌ:
(أن الفانين فقط هم من يحررون الخالدين).
لا تبتئسوا يا رفاق اللعنة والدم،
يا أصدقاء الأمل واليأس الفريد؛
لأنه مكتوبٌ.
فقد بدأ كل شيء من الأزل،
والعالَمُ.. أعراض النهاية!
#

Köln 4.3.2015

الدكتور الملائكي
Doctor Angelicus

أمام الله –كما يقول الحكماءُ– شهورٌ معدودة
ولذلك أبحث عن مكانٍ للشرب الوحيد، على قارعة النهار
وفتاةٍ أقبّلها في الطريق
وأعشابٍ أشتريها في طمأنينة
فبعد أن يموت إلهي الخاص
لن يبحث أحدٌ عنّي
لن يسألني أحد أين أذهب
وأنا لن أقول
لن يخاصمني أحد بالأيام لأنني تجاهلته
لن يراني
لن ينتظرني
لن يذكرني وأنا بعدُ طفلٌ، أنتظر عودته من الحرب في لهفة
بردائه العسكري الرهيب
لن يأتيني في الحلم كلما أغضبته في الحقيقة
لن يخيفني ويحبني أحدٌ
سيذهب
تمامًا بلا عودة
والعقل لا يفهم النهاية
كما لا يفهم اللا نهاية

وهو اضطرابُه كلهب شمعة
يغرق، ويشتعل
تمامًا مثل الله!

* * *

أسير في شوارع (المدينة القديمة) بكولونيا، المرصوفة بالحجارة
وأتأمل المعروضات السياحية المبهجة
أتذكر أنني اشتريتُ له منها هدايا:
نموذج (كاتدرائية كولونيا)
كأنه لا يعرفها!
وعملات تذكارية
كأنه ينسى!
وبطاقات بريدية
كأنه في مكان!
أستسلم للبرد وهو يخرق صدري
وأحزن حين أدرك
أنه لن يحتضنني حين أعود من العالَم
في طائرة ورقية
لن يبعث لي حتى برسول
أو برسالة على (سكايب)
يقول لي فيها: لماذا أنت أوف-لاين؟!
والغريب أن الشمس ستبقى معلقة في السماء في مصر
حتى بعد أن يرحل

كل شيء سيسير كما هو
وسيستمر نبض الساعات
كما هو
وسيكتب الحكماء مذاهب (الكَماهُوِيَّة)
أو ما شابه ذلك!
وحتى أنا سأستمر
كما تستمر الأشياء.

* * *

يصف له الحكماء مُسكّنات،
وعقاقيرَ لترمم عظامه المتآكلة،
التي تحركت عن مواضعها
وحرّفتْ هيكلَه.
أعرف أنه وحيد في الألم
مهما اقترب منه الناس
أعرف أنه يتعذب
أنت تتعذب يا الله!
وألمكَ سديمٌ من الشعور
وأنا هنا
لا أستطيع أن أتحمل ألمكَ
أو أشعر به!
بعثتَ الرسلَ لكل الناس
وبعثتَ الكتبَ

لتخبرهم ألا يخبروني بأنك راحلٌ بلا ميعاد
وأنت أدرَى
أن الناس لا يخلون من كفرهم
فأخبروني بكل ما أخفيتَ
أخبروني كل شيء
وقالوا لي: (اللهُ)كَ سيموت، ولكن لا تخبره أننا أخبرناك!
وها قد عرف كلُّ شيء كلَّ شيء
لكنك لا تبالي
ولن تعذبهم
لأنك تتعذب
تتعذب
تتعذب
يا الله!!

* * *

كان الله حيًا مثلنا
كان يحب
ويخاف
ويمرض
و يأمل
حتى لحظاته الأخيرة
وحين يموت، سينتهي كل ذلك
وسيعلن نصفُ سطر في الصحف:

"إن الله قد مات!"
وربما لو كان (ماريا ريماركه) حيًا لكتب:
"*كل شيء هادئ على الجبهة العليا*"
كي ينبه الناس إلى عذابه
وخسارته
لكنه لن يكتب حرفًا عني وعن خسارتي،
وحزني ذي الرهبة
سيموت الله كأحدٍ
"قل هو الله أحد"
إنه أحد
أحد
من الآحاد
ليس أكثر!

* * *

تقول لي أمي أن الحكماء يفحصونه
كي يعرفوا مصدر سرطانه المنتشر
وأنا جامد الصوت
أضحك في الصمت
هل هناك مصدر لسرطان الإله؟
وهل ستظهره أشعة رونتجن، أو المسح الذري؟
أورام الله تتجلى في الآفاق، وفي الأنفس
إنها مجرات، وثقوب في مراكزها،

ومادة وجودية تتضخم في جنون، وتخلق نفسها،
ولا تعرف خالقها،
ولا لماذا خُلقتْ!
إنها في كل مكان،
لكنها فقط الآن.
السرطان لا يعبر الزمنَ،
حتى لو أصاب اللهَ.
لكن لعنتَنا
أن لنا ذاكرة،
وأنها سَفَرٌ -في حياة واحدة- إلى الماضي،
وأننا في زمن لاهوت السرطان.
ذاك الذي سيتحول إلى قصائد،
ومعالم سياحية،
يزورها طلاب المعرفة والتاريخ،
وأصحاب الألسن المتعددة.

* * *

لماذا لا أهيم؟ ولماذا لا يهيم بي حجَر الطريق؟ يسأل (الأكويني)، وهو يخطو في ردهات معهده. قدستُ اللهَ، ومنحتُه تفاحةَ معرفتي، فلم يلق لي إلا بالملكوت. حلمت به وأرسلته في مداري وانعتاقي، فرد عليّ بتفاحات الأشياء. كل شيء أوقظه من عديمه، وكل صوتٍ أحميه من التردد في الفَناء. صوت العتمة يناديني، فأحلم به، وقبري مغارة الأوشام على جِلد الفراغ. وشم التنين غائر، ومعقد في التفاصيل،

ويدمي سطحَ الفراغ، فتخرج الموجودات كالفقاعات الطريدة. ووشم الجمجمة شريرٌ كالظلام، يضحك في لا تناهي السكون، فتتردد بضحكاته الشياطين. الشيطان أعلَى، وهو سرطانٌ في عظام الله. تراه الأشعة، وتردد موجات الصوت أبعادَه الكظيمة. يكاد ضحكه يميت ولو لم تمسسه أجسامٌ، ولم تحوه المقادير. ظلام فوق ظلام يَكتُب، فلا يَقرأ إلا الموتى أحلامًا تتمدد دون حدود من دائرة العدم إلى دائرة الوحدة، والخوف، وأرحام الأعاصير الوليدة. "هل موتٌ ذاك أم الأبدُ؟ هل يفني أم يحيا الأحدُ؟" أكتب، والإعصار يصفِر، والذكرى تبحر، والأيام فرائدُ، والأذكار لهيبٌ فوق الجمرات، نباتٌ يبرق، فأراها تتوهج في وجهي. أنا منكَ أيا الله، ومنّي أنتَ. أنا آتٍ آتٍ آتٍ، لكَ يا.. يا من أُنذره ذاكرتي. وأنا آتٍ.

* * *

لا تثق بهم، أولئك الذين يعرفونكَ، ويسلمونك إلى الرومان، والزمان، والمكان، ويَخُونونكَ. لا شيء يخفى على شيء في كونكَ، ولا شيء يكونُكَ. أنت وحيدٌ، تعرف السر وتُخفي. أنتَ عزيزٌ، لا يحبك أحدٌ. وأنتَ أحببتني. هل السرطان نصركَ أم هو الموت المبين؟ هل هو الكاشف لحبك للبشر وعشقهمو إياكَ أم الناهي إياكَ إلى أبدٍ حزين؟ الموت نَصر من لم تنصرهم الحياةُ، والحياة لا تنصر الأحياءَ، ولا تحنو على اليتامَى اللاهوتيين -مثلي- ولا تعتق الملحدين.

* * *

إن الشيطان الذي ينمو في عظامكَ لن يفلتكَ حتى تستمع إلى نهايات الأشياء، ولن يبقيك حتى تحيلني دكتورًا ملائكيًا، ولن ينتظر حتى ليصير هو نفسُه، أو يكون.

.

تَحَوَّلوا شيئًا.. أو حتى.. فاقتُلُونِ.

* * *

سيموت الله،
سيموت ولن أراه..
حين أعود إلى موطني،
وأُخرج العصافير الحمراء من قبعتي،
وأمد يدي في نهر الخلاء،
وأتذوق طعمَ الوحدة.
سيموت الله،
وسيصير عظامًا،
ولن أراه..
مرةً.. أخرَى!
#

Köln 25.11.2014

DOOM III

ها العالَم يهبط من فوبيا الآلهة.
ومنذ قرونٍ تتسرب سحب الألوان من خَلَلِ طباقِهِ.
كل مفصل، رابط، لاصق، إسمنت، عاشق ومعشوق، ذكر وأنثى،.. ،
تَحَللَ، وانفجر ألوانَ طيفٍ.
والكون يتفتح كزهرة.
إذا كانت الموسيقى الكلاسيكية خطة بناء الوجود، فإن نهايته مدرسة في التصوير التأثيري.
كل المسافات تملؤها الألوان المتناغمة، حتى ليستطيع طالب الفن الكسول في آخر عمر الكون دراسة هارمونية اللون مباشرة. لكن الفن قد تغير كثيراً هذه الأيام، وانتشرت في قارات العالم مدارس "التصوير الأسوَد": "مدرسة التصوير الأسود الفراغية" التي تركز على استعادة مفهوم الظلام ثلاثي الأبعاد، "مدرسة الظلام" التي تحاول إعادة استكشاف خبرة العَمَى، "مدرسة السواد العديد" التي ابتكرتْ هارمونية الأسود والأسود.
كل شيء ينحل في جمال مهيب، ويتصاعد غباره ليعلَق في الفراغ سديميًا.
كل سديم كان شيئًا عزيزًا.
ربما كانت هذه الحفنة من الغبار البرّاق قلبَ حبيبتكَ.
كل شيء يموت في البريق.

* * *

المصعد الكونيّ يئن. فيه تكدس الناس. هو آخر المدن. يصعد في بطء هائل. وحوله يتهاوى كل شيء. وعاء نُوحيّ ينقذ آخر الحضارات من طوفان اللا شيء.

الناس في المصعد ينقسمون إزاء النهاية قسمَين:

-قسمًا يرى أن الفن التشكيلي هو الذي يتفرد بتفسير أحداث النهاية.

-وقسمًا يرى أن الموسيقى غير الميلودية هي السبب في انحلال الطبيعة.

كل يوم، حين يطلع سديم "آشور"، وحين يغرب سديم "أوغسطين"، أسمع ذلك الجدل.

وأتذكّر.

* * *

تزوم النحاسيات في نبرة تحذير (أم هو تهديد؟)، ثم يسير الكلارينيت طريقه المظلم منفردًا، لا مباليًا إلى درجة القسوة، ثم يتصاعد الفلوت على مقام كروماتيكي بارد، يبدأ ذلك اللحن الرهيب، في الحركة الأولى من سيمفونية شوستاكوفيتش العاشرة.

العاشرة حشرة، لها ذات البشاعة، وذات الأناقة.

لقد ترك هذا اللحن شيئًا في عقل كل من سمعه، شيئًا أقرب إلى ذلك الرخو ساكن القواقع (ربما سكن قوقعة أذني!).

إنك تشعر أنك لست كما كنت، وأنك لن تعود، أن شيئًا ما قد تغير إلى الأبد، كقطرة الحبر الأسود في كوب لبن.

لم يسمعه أحد إلا وخفض رأسه في يأس، وأُصيب روحُه بالغثيان.

لا أحد يقيء الروح، وهذه لعبة شوستاكوفيتش.
هل الفيزياء العامة تتحول مع الوقت إلى نظرية موسيقى؟
إن "الأوتار" أكثر من استعارة.
وإذا كان تطور البشرية في الحقيقة هو سعي لفهم هذه الحقيقة: أن الموسيقى هي خطة بناء الكون وعمله، فما مصيرنا لو كانت السيمفونية العاشرة تحديدًا هي هذه الخطة؟
لها ذات البشاعة، وذات الأناقة.

* * *

طال عمري.
لم يعد الزمن كما كان منذ زمان. لقد شاهت الأبعاد كثيرًا منذ بدأ التحلل، ومعها شاه الزمان.
هناك التاريخ، هناك السرد، هناك القصة والرواية، لكن ليست هناك ساعات ودقائق.
لقد تفوقت فنون السرد في آخر الأمر!
العمرُ تحللٌ طويلٌ.
مرتْ –منذ شروق سديم "فرجيل"– "عوليسُ" كاملة، حين أعلنت إذاعة المصعد المحطة التالية:
"المحطة القادمة: الله. أعزاءنا الركاب، هذه الرحلة تنتهي هنا. نرجو منكم النزول. شكرًا جزيلاً."
اندهش طفلٌ صغير كان يلعب "DOOM III"، ويقتل الشياطين بسلاح الليزر. لقد ملأوا عقله بالشياطين والآلهة، والشر والخير. لقد صار الدين موضة قديمة، لكن لم يحل الإلحاد المحل.

بصفتي أحد معتنقي نظرية الموسيقى اللا ميلودية أومن تمامًا أن تفسير ذلك قادم من أعلى.
فمِن سقف المصعد، من القبة الزجاجية العملاقة، رأيناها.
كانت تنقل أرجلها الستة في بطء الضخامة المهولة.
بين السدم، والمجرات المنهارة، والأبعاد التي تداخلت، والانفجارات العظمى، والانسحاقات القصوى، والمواد السوداء، كانت تفرز كل شيء، تغزل الأبعاد كعنكبوت، ونحن الذين علقنا في شباك الوجود.
كان العالم مكانًا بشعًا تجر فيه الشرطة العسكرية الفتيات فاقدات الوعي من شعورهن كأكياس القمامة عندما كان الله يحكمه، فماذا تقول إذن الآن عنه؟
بكيت وأنا أرى أزواج الأجنحة تخفق فتثير الغبار النجمي.. (لماذا؟)
الويل لهذا العالم.
كان هذا رأيي على أية حال في DOOM III.

Köln 2.6.2014

ميتائيـــل
Meta'il

–1–

في الظلمة عينان. وأنا واقفٌ أرتجفُ.

–2–

استغرقتُ مكانًا أبديًا قبل أن أنطرح كالغصن الأشنع. حملتُ فقراتي بيديّ وخطوت في ذُبالِ الأرض. وأدخنةٌ بطعم الصداقة والوحدة تتصاعد من رأسي المشتعل. قلت أسير في تأويل الأرض. قلت أتبع في شريعة السطوح خَطَاطَةَ القَوادِمِ. ها أنا ذا أرسل عينًا نافذةً على البحر. ها هو البحر أَرَمدُ، ومُشِعٌّ تحت جمرات الأرض القديمة. لا يكاد الفَرْطُ يفرد عباءته بالفراق حتى تتهافت جدران الخلايا العازلة، وأربطة التمحلل في الزمن. الهدْبُ للأرض التي حبلت سوامقَ من آكلات الضوء. الجفنُ للنار التي وهبتني على الصغر أشباحًا ولاهوتًا. يجيء أخي أكثرَ منه. يرقد جواري في قوائم الأزمنة في سحيقٍ. يتكلم عن السِّرْيال وهو بعدُ طفل. إن كونَكَ طريٌّ بعدُ لا يحتمل التفكيك. أيّان يهمسْ يجدْ أخوه تجسيداتٍ وأباطيلَ. وهواء الليل يرينُ، ويمتلئ بالليل. الليل صلصال التآويل. وأنا أخطو بقاع الأرض. عباءتي

الدخان، وقلبي تآكل منذ زمان. وأنا أضع المكان. وأنا أبدّل المكان. وأنا أقتلع المكان بأظفاري كالهيكل من قعر الزمان.

.

القوادمُ يأتون أسماكًا تفوح منها سيماء البشر، وبشرًا تلوح عليهم سمة الأسماك. كلُّ وحشٍ عظيمٍ انفجارُ التشوهِ في الخليقة، وكل خليقة مشوهة بوحشها رهينة. أيهذا الفناء المتمازج بالكون، لو لاك ما كان زمان ولا صيرورة. الأرض أرضٌ لم تزل قديمة. وأخي ينطق الكلمة التي تبحر في الكون مثيرةً سلاسلَ المجردات وفقاعات الأشياء.

.

أخي يخاف الوحش. والوحش يقضمني في نظرة بهيمية مخيفة. أبتسم رغم ما ينقص منّي الفكّان. وأقول أنني خيرٌ وأنا. لكن أخي لم يزل يخشى. وغشاء الليل يقشعر من خشيته. يمسك بلوامسي ويهمس لي بسر خوفه. لا موتَ إلا الموتَ ولكنّ الخوفَ عتيدٌ. وحين أسمع همساته في ظلمةٍ تنسكب، تضرب أذنيّ غلائظُ الأصوات ومنكرها، متآلفة، خالقةً من العدم كتلةً صماء لا معالِم لها ولا حجم. لا تحملها الأرض. وينوء بها الفراغ ليتقعر ثم ينثقب. كل شيء يتلوى ويتقعر حولها، وهي سرطان من الوجود. وانحنى الليل تحت كلكلها واهترأ. وانبجس الضوء الناصع من حولها، يعمي ما لا عينٌ نشأتْ له.

.

وكان عالَمٌ من الضوء، الضوءِ فحسْب.

-3-

للكتل المهولة في الكون صوتٌ كالوحوش. وللزمان أنينٌ غليظٌ خفي، لا يدركه البشر إلا حين يتوقف. كان الضوء المنبجس كالينابيع من خرَقِ الظلام المشتتة يملأ الفراغ المنقعر كالخمر الفوّار. للضوء صوتٌ حين يملأ الفضاء ويطوّشُ الموجودات. كانت قطراته تتناثر على كل شيء مصابيحَ ولهبًا. كان النور في البدء شريرًا. كان يُحرِق ويُفنِي، ثم استأنسه الرب وكان عصيًا. لا عاصم اليوم من سطْع النور. بم التجفّنُ: لا هدْبٌ ولا جفنٌ ولا غلاف.. ولا سر ولا فؤاد ولا شغاف! الكل مضاء والكل محترِق. كان العالَم طويلاً ثم نهض على الضوء من الكون. والصُّورُ رنين ساعةٍ تعلن نفاد الزمن. الساعة صِفر، والملائكة يمتطون مهرات الضوء، والله يأتي. كان الجبارون يمزقون آخر أشلاء الظلام المرتعشة بالسّكَرات بسيوف البروق. والحرب ضوءٌ وكهرباء. كل كهربٍ يسبح في حوض ضوئه، ويتقافز منتشيًا. والله كهرباءُ ماردة في جسد الكون. وأخي يدخل قوقعته ملتفًا كالجنين الذي لم ينفضّ. تنصرف عنه قطعان الأرحام. والله يأتي.

-4-

كانت كلمات الموج تآويلَ العتمةْ
والعتمةُ مسكونُ الأحياء اللائي تتفرع فيها أشرطة التجسيدِ،
وتغمرها موجاتٌ من بحر الصرخة لشطوط التغريدِ،
وكل من كلمات الموج ينادي كائنَهُ،

يبعثه من تحت الموج المختلط بطين الخلقةِ،
وبتعزيم السحرةِ،
وبطمث الغيمةْ
تطلع من قاع البحر شِعابٌ ومفاصلُ،
وشتاتٌ من أنسجةٍ شيطانياتٍ،
ولوامسُ ترتعد بشهوات بِكْريّاتٍ،
وحشودٌ مما يتألّمُ،
يبني حول النفس القوقعةَ،
وتخرج أزواجُ محاراتٍ،
كانت قشرًا من قشر السمكِ،
انفصلتْ، سبحتْ، واحتوت الكائنَ،
والأسماك تفتّح أعينها وترى النورَ،
ويخرج منها الدرفيلُ،
ويتصاعد موجٌ ينسكب على حافة كأس الكونِ
إذا استوت الآن على سطح البحر الحيتانُ،
أَصَمّتْ أصحابَ الأسماع بمُتَّصَل الصرخات الملتحِمةْ
وعلى الأرض الطحلب يزحفُ،
يخرقه كالرمح العشبُ،
لينفجر اليخضور الزاهي أشجارًا،
تخرج من صحراء الأرض،
ومن قطع المدن المنهدمةْ
الدببةُ تتأهّبُ،
والأنياب السيفية تَنشُبُ،
والأطيار على وجه الريح جناحٌ أحدٌ أشهَبُ،

والجن مع الإنسانِ
مدينة ألم واحدةٌ منحطمهْ
يخرج من جسد الإنسان الظلُّ،
ومن جسم الجن النارُ،
ويضرب شرر النار بفحمة رحم الظلِّ،
فتظهر كالشبح صفوف الأشباهْ
ومن الأشباه تخارجَ مخٌّ لزجٌ،
يبرك، يتطفل في جسم الأرض، ويفرز فيها الكلمهْ
يتلو فيها أعصابًا وصَلاهْ
يقرؤها الرعد، يرددها،
وبجسم الأرض الميت يعشب برقٌ
يؤلم كل الأحياءِ،
يقول أنا،
وأنا،
وأنا اللهْ!

–5–

تلك الصرخات الممتدة البعيدة. أكثر امتدادًا من البشر وأبعد منهم. كانت صرخات كل شيء يسري الإله بكتلته برقًا ورِعدة. القشعريرة وحي يقرؤه جِلْدُ كل شيء، والألم نبيّ. ليس الإله مشكاةً، بل ضوءًا أليمًا. القدرة الإلهية ألمٌ فوق الإرادات، فإن ذهب فكل شيء مباح. كنت أتقن تأويل الوحي بالهرمنيوطيقا، وكان أخي يتقنه بالشيزوفرينيا.

كيف يمكن تأويل الألم ولا مجازَ له ولا فيه التباسٌ؟ خارقُ الوعيِ، ابنُ الحقيقةِ، مُخْرِسُ الكلمات. كفرتُ بالأنبياء وآمنتُ بالآلِمين. قلت لأخي: فلنُعِدْ ما كتب دارون من قديمٍ، ونُسلسل الكائنات في دَرج الألم. قلت لأخي: كان الإنسان أكثر شيءٍ ألما. لكن بيوت العنكب كانت تملكه. يتلو إنجيلَ الشيزوفرينيا، ويقول: الجنون أقوى سلاح. الجنون درعٌ يحمي من ألم الله. وأنا المجنون سأخرج للضوء وأعرَى. إني المجنون سأفتح عيني ودماغي، وليذهبْ كل إلهٍ بما أضاء. إني المجنون سأحلم ليتجسم حلمي عنكبوتًا ينسج النوم على العيون، ويغزل الليل رداءً رحيمًا على كل شيء مسلوخ في النور. تعال يا كل شيء وقف معي. وأنا مَنْ معي. حين أتقلص أمام النور، فأنا أتملص من قبضة الله، وأكون مظلة الكينونة، فوق الوجود الملتهِب.

.

وكان أخي يذهب. وكنت لا أصدقه، لكني أذهب معه.

–6–

غيمًا أمطرني ... ينشع في كبدي

بردٌ في بدني ... أخضرَ مبْتَلا

كنتُ، وقد كانت ... أُسكنني جسدًا

أمي تحملني ... أَخرج من جسدي

آكل من رحمٍ ... أخرُج من رحمٍ

أُمطر من بردي ... يأخذها شكلا

بردٍ يغزوني ... معطفها جِلدي

يسكن فِي جِلدي
وأراقص بنتًا لا
تلبس شيئًا
إلايَ، وإلا
أحدًا من أحدي
أخلع معطفها
تخلع أحذيتي
معطفها جِلدي
يأخذها شكلا
أخرُج من رحمٍ
أخرج من جسدي
أُسكنني جسدًا
أخضرَ مبْتَلا
ينشع في كبدي
بللاً مبتلا
قتلا منقتلا
ينشع في كبدي

تخلع أحذيتي
أخلع معطفها
أحدًا من أحدي
إلايَ، وإلا
تلبس شيئًا
وأراقص بنتًا لا
يسكن في جِلدي
بردٍ يغزوني
أُمطر من بردي
آكل من رحمٍ
أمي تحملني
كنت، وقد كانت
بردٌ في بدني
غيمًا أمطرني
ينشع في كبدي
قتلا منقتلا
بللاً مبتلا

-7-

كان زحامٌ من الهُلام يخرج ليشاهد الصراع الراجف بين الفاطر والمفطور. وكانت حبيبتي تريد أن تنظُر. وكنت أخلع أجفاني وأمنحها

إياها كي لا ترى. كان النور يتجمع فائرًا. الانفجار عضوٌ من أعضائه، والنار أفكاره. ولما صار كل شيء في غضبته يشتعل ويذوب كالشمع، ولما صار الشمع من خشيته يشتعل ويذوب ككل شيء، سألتْني، قلت لها: هذا الذي لا نستطيع إغماضَ أعيننا دونه، هذا الذي حرمنا الليل، هذا الذي سلب الحلمَ، وقتل الظلال، هذا الذي سطع فأحرق الجلود، وبخّر البحار، هذا هو الإله بلا حجاب. وحين يكون هو منكشفًا نكون نحن عرايا. والكوكب يدور تحت إشعاعه شوّاية لحم يتصاعد منها دخان البشر. هولوكست الكون يوحّد بين الأعراف، ويُذيب التفاصيل.

.

ما طموحُكَ؟ قالت. قلت: أعبر من خلَلِ النور. لا وطن لي إلا ما لا طريق له. لا أمل لي إلا فيما يثمر في أرض اليأس. ولا حلم لي إلا ما بدده ضوء الواقع. كوني لي فراشًا رطبًا فقد زمّلتْني سجادة الجروح. شَعرُكِ أسطورةٌ قديمة ترويها وسادتي، وتقرؤها أنفاسي. نهداكِ كأسان من ثمرتين تنبتان أبدًا مختمرتين، لا يُشرَب منهما إلا بعصرهما، وأقرعهما معًا لأشرب في حانة ليلة ابتعدتْ عنا مذ غشّانا الضوء. بطنكِ كعذابي إن لم تحملني كجنينٍ يهفو نحو التكوين. فرجكِ مخبز أعصابي. أخبزها في الليل وأخرجها طازجةً في الفجر. فخذاكِ خبزي ومعيشي. ساقاك وقدماكِ تحملان أرض المدينة وليلها. سيري على السماء مقلوبةً وامسكي رأسي براحتيك وارفعي وجهي إليك وقبّليني. كوني امرأة كالكون لا أخرج منها. كونيني أنا، ثم عودي أنثى.

.

بإخلاص/

يا حبيبتي.

-8-

كان الجنون يشق الضوء بظل رهيف كسم الإبرة. كانت هذه هي لعبة أخي الأخيرة الجنونية. أرني كيف تعبر من هذا الظل، بجسمكَ، بأسفارك، بأحلامك، بسفرياتك، بأرضك الأخرى، بفَتاتك، بغرورك، وخوفك، وألمك، وفزعك، وشكك، بذاكرتك التي تسربت لها المياه، بأوهامك التي عرتْها الريح ورآها الناس، بأشواكك التي انكسرت ونشبت في الحيطان.

.

كنت أخطُر في المحنة والملحمة. هل معركة مع الألوهة أم مع الجنون؟ مع الضوء أم مع قوس الطيف؟ لا أقارع الجنون وأقارع اللاهوت. الآلهة خصومي المعتادون، أتحداهم ولا أتحدى المجنون. اللاهوت مدخنة مسدودة والعمل على تسليكها مهنة قذرة، لكنها مهنتي ومعاشي ولا أعرف إلاها. لكن الجنون البشري بيانو عظيم يُخرج شواذ الأنغام ويجب إصلاحه. أنا ألقي بمخي كتلةً واحدةً كي يزيل بهبوطه السناج والعنكبوت والتراب وموتى الطير العوالق، لكن ضبط البيانو لا يصلح له هذا العمل الخشن القوي. قلت أمد يدي في الشق الأسود. قلت الأسود لوني، واللون سوادي، والأسود كل الألوان. هذا كفي يخرق جسم الضوء فيظهر من خلف الضوء عظام الكف. ها رأسي يعبره فيضحك كالجمجمة من البُعد الآخَر. فقراتي تزهر وتتألق كحبات المسبحة من خلف جدار الإشعاع. حملتُ فقراتي بيديّ وخطوتُ. كُلّي الآن على الناحية الأخرى أقف بلا ضوء. أنا خلف الله، وراء النور، وراء الإبصار، وبَعد الكينونة والكائن، بَعد المخلوق وبعد الخالق، بعد العقل، وراء النور.

-9-

الأسوَد سيدٌ، يمتص الضوء من العين. يظل حُضورًا وخَفِيًا، في كل مكان، فوق الإمكان، وراء العقل.

.

ليس ورائي مما جئت لاهوتٌ حارِق، ولا عالَمٌ يلتهب، وليس هنا أخي. لا أحد سوى الأسوَدِ المجيد.

.

في الظلمة عينان، وأنا واقفٌ أرتجفُ. أعرف الآن أني وحيدٌ يبصرني (ما وراء الله)

#

Köln 24-25.7.2015

ختام

أترك كل شيء:
حديقتي، وشرفة التدخين الخاصة بي،
وشقتي المسكونة بالأطراف الشبحية.
أترك السماء التي رتقها الله كي لا تنفتح،
والمطر الصيفي،
والشمس شبه القطبية المتناهية إلى منتصف الليل.
أترك النبيذ الإيطالي،
وبيرة ميونيخ،
والبنات الخارجات من قصص (جريم).
أترك اللغة المعقدة المثيرة،
التي تنحت تشريح فمي،
ووظائفَ مخّي.
وأترك ذكرى بيتهوفن وشومان،
وبرامز وفاجنر،
وكانط وهيجل،
وهايني وريلكه،
وأخبر صاحبة المنزل أنني وضعت كل هذا في (الثلاجة العميقة)،
وأنني سأترك الثلاجة دائرة،
وأطير إلى أرضٍ (كانت فراري وانتظاري)،
لأمسك بأسمال الصداقات التي تهترئ،

وأجمع أطراف أصدقائي المنبترة،
لكي أحشو بها أشباح الأطراف في أرض أخرى،
وزمن آخرَ:
أرض الفرار الدائم،
وزمن الذاكرة المتآكلة!

Köln 10.7.2014

الشاعر في سطور

- كريم الصياد.
- من مواليد القاهرة، 30 نوفمبر/13 ديسمبر 1981.
- مدرس الفلسفة الإسلامية بقسم الفلسفة، كلية الآداب، جامعة القاهرة.
- حصل على الدكتوراه في فلسفة التأويل الإسلامية من جامعة *Universität zu Köln* بألمانيا الاتحادية في يناير 2018.
- حصل على الماجستير في فلسفة الحق الإسلامية من جامعة القاهرة في يناير 2012.
- عضو اتحاد كتاب مصر.
- عضو الجمعية الفلسفية المصرية.
- حصل على عدد من الجوائز الأدبية المحلية، وعلى جائزة النقد الموسيقي بالمجلس الأعلى للثقافة لعام 2016.
- صدر له ككتب:

1. **الأَمْر**، ديوان شعر، دار اكتب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 2007.
2. **اثنتا عشرة عينًا على مَشهد التسلُّط**، (تحرير ومشاركة)، منشورات الجمعية الفلسفية المصرية، دار الهاني للطباعة والنشر، القاهرة، 2008.

3. **منهجٌ تربويٌّ مقترَحٌ لِفاوست**، ديوان شعر، دار شمس للنشر والإعلام، القاهرة، 2009.
4. **ن= ∞ ف**، رواية، دار شمس للنشر والإعلام، القاهرة، 2010.
5. **الرجال–Y**، مجموعة قصصية، دار شمس للنشر والإعلام، القاهرة، 2010، وطبعة ثانية معدّلة إلكترونية 2018.
6. **صِدام الحفريات**، مجموعة روائية، دار اكتب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 2012.
7. **النظام المتغيّر، دراسة في الديمقراطية، لأوسكار لوفل تريجز (ترجمة)**، مركز جامعة القاهرة للغات الأجنبية والترجمة التخصصية، 2012.
8. **مقدمة إلى مبادئ الأخلاق والتشريع، لجيريمي بنتام (ترجمة)**، مركز جامعة القاهرة للغات الأجنبية والترجمة التخصصية، 2013.
9. **آلهةُ الغسَق**، ديوان شعر، دار شرقيات، القاهرة، 2015.
10. **نظرية الحق، دراسة في فلسفة القانون والحق الإسلامية**، مركز الكتاب للنشر، القاهرة، 2015.
11. **نادي الانتحار**، رواية، دار نيو بوك للطباعة والنشر، القاهرة، 2020.
12. مرايا الأنا ونافذة الآخر، دار نيوبوك للنشر والتوزيع، القاهرة، 2020.

13. **Ontologie der Koranauslegung. Eine phänomenologische Annäherung an die islamischen exegetischen Methoden**. Dio: urn:nbn:de:hbz:38-84314. (2018)

14. السيكوبوليطيقا، الليبرالية الجديدة وتقنيات القوة الحديثة، لبيونج-شول هان (ترجمة) مؤسسة مؤمنون بلا حدود للدراسات والأبحاث، بيروت، 2021.

15. عدد من الدراسات الفلسفية والأدبية والموسيقية في دوريات عربية ومصرية وأوروبية ورقية وإلكترونية.

- له تحت الطبع:

  1. **الأغشية**، ديوان شعر.

- البريد الإلكتروني: k.elsaiad@daad-alumni.de